1431

مقرر التوحيد

الفصل الدراسي الثاني

مناهج السنة المحلية للمعاهد التابعة لمؤسسة الوقف

مؤسسة الوقف 1431 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد

فهذا مقرر التوحيد لطلاب السنة المحلية للمعاهد والدورات التابعة لمؤسسة الوقف.

وهذا الكتاب يقرّب إلى المتعلم علم التوحيد الذي هو أهم العلوم وأجلها فمن أجل توحيد الله خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب , فحري بطالب العلم أن

يعطي هذا العلم اهتمامه, ويحرص فيه على الفهم الصحيح والعمل الصالح .

ويهدف الكتاب إلى تأصيل المفاهيم الأساسية في علم التوحيد وترسيخ القضايا الكبرى في العقيدة والتحذير من المخالفات العقدية والانحرافات المنهجية عن توحيد الخالق - جل وعلا -.

وقد اجتهدنا أن تكون لغة الكتاب سهلة وسلسة ، كما حرصنا أن يشارك المتعلم بفاعلية في التعلم من خلال أنشطة تعليمية وفراغات داخل المحتوى تركت ليكتبها بأسلوبه ويضرب أمثلة من حياته ومعايشته.

ونود أن نشير إلى أن بعض الأسئلة والفراغات والنشاطات – بطبيعتها – ليس لها إجابة محددة، فلا يتردد المتعلم في الإجابة عنها بما يراه مناسباً، فالمجال واسع, والقصد من إيرادها تنمية مهارات التعلم والتفكير لدى المتعلم, وتعزيز قدراته .

والذي نأمله أن يكون الكتاب وسيلة لنشر توحيد الله,وترسيخ عقيدة أهل السنة والجماعة لمن اطلع عليه وقرأه.

والله ولي التوفيق.

الفصل الدراسي الثاني

الوحدة الحادية عشرة

الإيمان باليوم الآخر

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن

- يوضح معنى اليوم الآخر.
- يستدل على الإيمان باليوم الآخر.
- يؤمن بالحياة البرزخية وعذاب القبر ونعيمه.
- يعدد بعضاً من مشاهد اليوم الآخر .
- يستشعر آثار الإيمان باليوم الآخر.

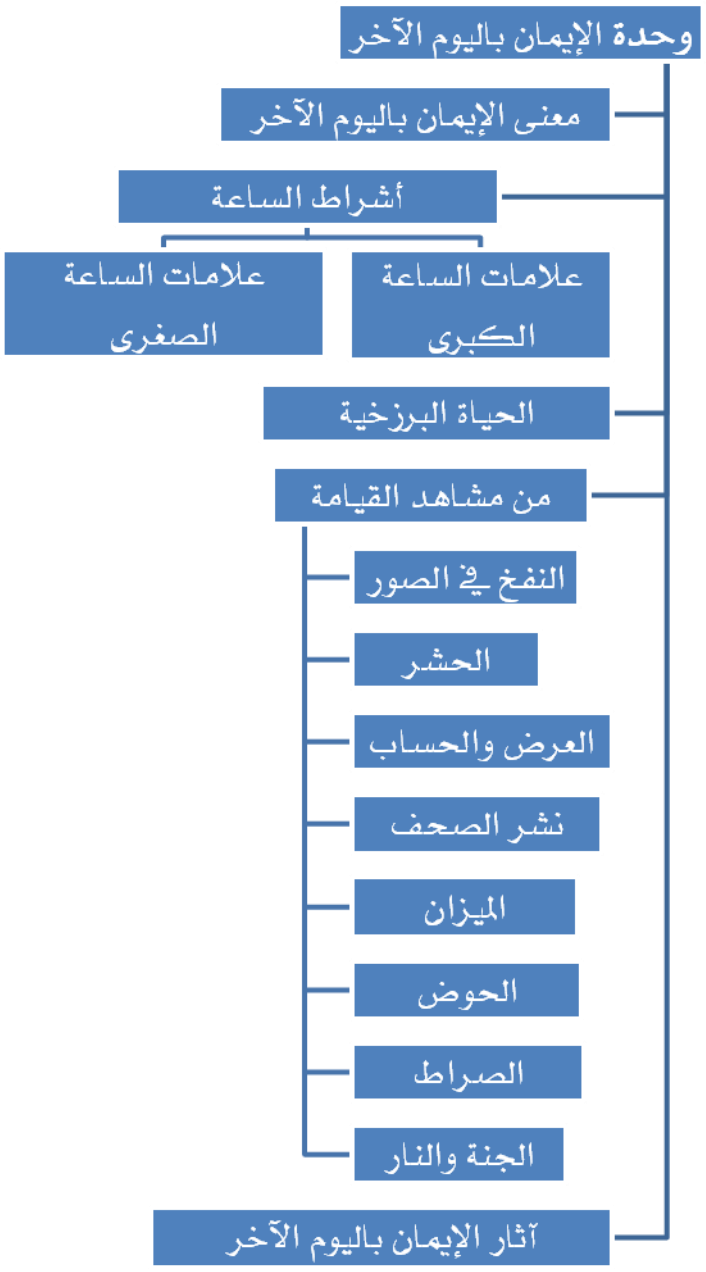

مدخل :

جعل الله الدنيا دار اختبار وعمل ، فأهل السعادة يعبدون الله ويرجون الثواب ، وهناك من فرط وأسرف على نفسه بالمعاصي ، كما أن في الحياة الدنيا أناس وقع منهم الظلم والقتل والعدوان ، وفي المقابل هناك من عانى من الاستضعاف والهوان، فكان من عدل الله ورحمته أن جعل داراً بعد الدنيا يكافئ فيها المحسن وينتصر للمظلوم ، وينزل العقاب بالظالم المسيء ، تلك هي الدار الآخرة ، حيث يكون زمن الثواب والعقاب وينتهي زمن العمل والاختبار .

معنى الإيمان باليوم الآخر:

التصديق الجازم بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وبما ثبت في الكتاب والسنة من علاماتها ومقدماتها, ومما يكون بعد الموت في حياة البرزخ، وأحوال يوم القيامة من البعث، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، وغيرها ثم دخول الجنة والنار.

وقد ذكر الله تعالى الإيمان باليوم الآخر مجملا في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٦٢,وفي حديث جبريل – عليه السلام –، وورد ذكر الآخرة مفصلة بذكر بعض مشاهدها في آيات وأحاديث كثيرة ، ابتداء بعلاماتها التي تسبق وقوعها والتي تسمى أشراط الساعة ، إلى دخول أهل الجنة الجنة, ودخول أهل النار النار ، وبينهما أحداث عظام تشيب لها الولدان نأتي على ذكر شيء منها:

أولاً : أشراط الساعة:

استأثر الله تعالى بعلم وقت قيام الساعة,كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لقمان: ٣٤، ووضع لها علامات، وهذه العلامات صغرى وكبرى؛ فأما الصغرى فعلامات تدل على قربها مع

تفاوت هذا القرب، وهي كثيرة ، وأما الكبرى فعلامات ظاهرة متتابعة يعقبها قيام الساعة، وفيما يلي ذكر لبعض هذه العلامات:

علامات الساعة الصغرى:

وهي كثيرة ورد ذكر بعضها في حديث جبريل عليه السلام، ومنها بعثة النبي ﷺ لحديث أنس ﷺ مرفوعاً: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وضم السبابة والوسطى[1].

ومنها انتصار المسلمين على اليهود، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[2].

علامات الساعة الكبرى:

وهي عشر علامات وردت في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ، قال: « اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة, قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »[3] وهذه الآيات متقاربة, أو متعاقبة في حصولها بحيث تكون كالعقد إذا انقطع تتابعت حباته، وهذه العلامات هي:

الدخان: وهو المذكور في قوله تعالى :﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ ﴾ الدخان: ١٠ - ١١

الدجال: يخرج أيام المهدي من أصبهان، ويتبعه سبعون ألفا من يهودها, يدعي الألوهية ولا يدع مدينة أو قرية إلا دخلها إلا مكة والمدينة؛ فإن الملائكة تمنعه من دخولها، ولعظم فتنته وعمومها حذر منه كل نبي أمته، حتى إن الرجل يأتيه, وهو مكذب له فلا يزال به حتى يتبعه لما يرى معه من الفتن، ويأتي القرية فيتبوعونه، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم أموالهم أحسن ما كانت،

1() [البخاري 7408 ومسلم 6504]

(2) [البخاري 2926، واللفظ له، ومسلم 2922]

(3) [مسلم 7285 وهو من أفراده على البخاري]

ويأتي القرية فيكذبونه، فينصرف عنهم, وليس بأيديهم شيء من أموالهم، ومعه ماء ونار، فناره ماء بارد، وماؤه نار.

ومن علامات كذبه أنه يدعي الألوهية , ولن يرى أحدنا ربه حتى يموت، وهو أعور إحدى عينيه كالعنبة طافية وربنا ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه كافر أو (ك ف ر) , يقرؤها كل مسلم قارئ أو غير قارئ.

ولعظم فتنته أمر النبي ﷺ بالتعوذ منها في كل صلاة قبل السلام , فقال ﷺ: « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال »[1].

وأما من سمع بخروجه فعليه أن يفرّ منه، فإذا أدركه قرأ عليه العشر الآيات الأول من سورة الكهف لحديث النواس بن سمعان ﷺ مرفوعا: «من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[2]. وفي حديث أبي الدرداء ﷺ «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[3]

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ النساء: ١٥٩ ، ينزل, والناس يعدون لقتال الدجال ويصفون الصفوف، وقد حضرت صلاة العصر، فيقدِّم إمامهم فيصلي بهم، ويقتل الدجال عند باب (لُدّ) قرية من قرى بيت المقدس، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، ويبقى في الناس أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون.

يأجوج ومأجوج: وهما أمتان من بني آدم مفسدتان في الأرض ذكرهما الله في سورة الكهف، ووقت خروجهم أيام عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتل الدجال، فيوحي الله إليه أن ينحاز بمن معه إلى الطور؛ لأنه لا قبل لهم بهؤلاء المفسدين، ويشتد أمرهم, فيدعو عليهم عيسى عليه السلام، فيسلط الله عليهم دوداً في أعناقهم فيهلكون، ثم يطهر الأرض من نتنهم، وتخرج الأرض بركاتها ويكثر الخير.

1() [مسلم588 من حديث أبي هريرة ﷺ]

(2) [مسلم 2937 وأصل حديث الدجال متفق عليه.]

(3) [مسلم 1883 وأصل حديث الدجال متفق عليه]

طلوع الشمس من مغربها: فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[1] ,وذلك قول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٨ , فطلوع الشمس من مغربها هو المقصود بـ (بعض آيات ربك).

الدابة: وقد ذكرها الله تعالى في قوله :﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ النمل: ٨٢ , فهي دابة تنطق وتتكلم، وتميز بين المؤمن والكافر, فتخطم الكافر على أنفه، وتجلو وجه المؤمن وتبيضه.

وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها متقاربان كما في حديث عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – مرفوعا «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريب»[2] وهذه الأولية نسبية لا أنها أول الآيات مطلقا، بل أول الآيات الدالة على قيام الساعة، ثم تخرج النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر.

النار التي تحشر الناس:

وهي نار تخرج من أرض اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر, وهي أرض الشام، فمن تأخر منهم أكلته النار، وهذا الحشر في الدنيا، وهو غير الحشر الذي يكون بعد البعث من القبور.

الخسوفات الثلاث: ومعنى الخسف أن يذهب المكان المخسوف به ويغيب في الأرض، وتكون هذه الخسوفات عقوبة, وتذكرة عند كثرة الفساد, وانتشاره بين الناس.

(1) [البخاري 6506 ومسلم 157]

(2) [مسلم 2941 وهو من أفراده على البخاري]

مما سبق : أكمل الشكل الآتي :

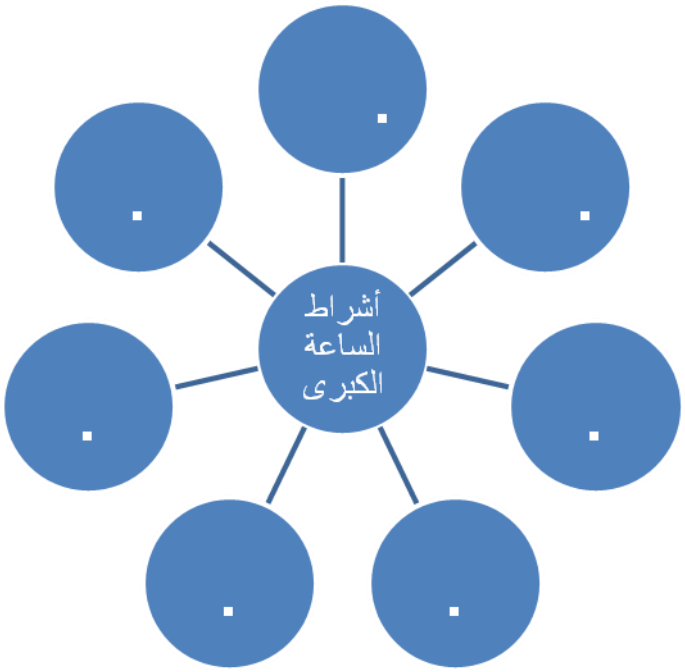

ثانياً: الحياة البرزخية:

الإنسان يتقلب بين ثلاثة أنواع من الحياة: الحياة الدنيا وهي أقصرها وتنتهي بالموت، ثم حياة البرزخ، وهي حياة حقيقية لها طبيعتها, وتنتهي بالبعث قال تعالى :﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٠، ويكون القبر فيها إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ثم الحياة الأبدية في الدار الآخرة إما في الجنة, وإما في النار.

وفي الحديث: « إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[1].

(1) [الترمذي 2308 من حديث عثمان بن عفان ﷺ وهو حسن]

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه, وإنه ليسمع قرع نعالهم, قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله, قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة, قال: فيراهما جميعا»[1] ، وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال:« إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة, فمن أهل الجنة ,وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[2].

فعلى المسلم أن يستعيذ بالله من عذاب القبر، ففي الحديث عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله: « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع» وفيه: ثم قال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»[3]. وكان النبي ﷺ يقول في صلاته قبل السلام: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»[4].

كما أنه على المسلم أن يبتعد عن الذنوب التي تعجل عقوبتها في القبر كالنميمة، وترك التنزه من البول، والكذب، والزنا، وأكل الربا، وهجر القرآن.

ثالثاً : من أحوال اليوم الآخر:

1- النفخ في الصور:

وهما نفختان[5] ينفخهما إسرافيل عليه السلام في الصور, وهو البوق: نفخة الصعق وتسمى الصيحة والراجفة، ونفخة البعث، فأما نفخة الصعق, فلا يسمعه أحد إلا صعق إلا من شاء الله، قال الله تعالى :﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ الزمر: ٦٨ , وذلك يوم الجمعة لما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات،

(1) [البخاري 1273 ومسلم 7216 واللفظ له]

(2) [البخاري 1313 ومسلم 7211].

(3) [مسلم 7213].

(4) [البخاري 832 واللفظ له ومسلم 589 من حديث عائشة رضي الله عنها].

(5) وقيل النفخات ثلاث لما في حديث الصور: نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين.

وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس»[1]

وعن عبدالله بن عمرو ﷺ مرفوعاً « ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا, ورفع ليتا , قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله , قال: فيَصْعَق ويَصْعَق الناس, ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطرا كأنه الطل, أو قال الظل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى, فإذا هم قيام ينظرون»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة»[3].

نفخة البعث: وهو النشور: وهو إحياء الموتى بعد النفخة الثانية، فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا، وأول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ , فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع»[4] ، و « إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل»[5].

الأدلة على أن البعث حق:

عجب المشركون من البعث بعد الموت، ونفوا قدرة الله على الإعادة, وهو خلقهم أول مرة، والأدلة على البعث كثيرة يراها الملحدون دون أن يعتبروا بها، فنبه الله تعالى إليها، ودعا إلى التفكر فيها والاعتبار، ومن ذلك:

. الاستدلال بالنشأة الأولى، فهذا الإنسان حي موجود؛ فما الذي يمنع إحياءه بعد موته ؟! وما الفرق بين النشأتين ؟! قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ

(1) [أبوداود 1046].
(2) [مسلم 2940 وهو من أفراده]
(3) [البخاري 4935 ومسلم 7414]
(4) [مسلم 5940]
(5) [البخاري 6526 ومسلم 2860 من حديث عبدالله بن عباس ﷺ]

ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الروم: ٢٧، وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ مريم: ٦٦ - ٦٧

. **الاستدلال بخلق السموات والأرض**، فالقادر على خلق السموات والأرض على عظمهما وإتقانهما واتساعهما قادر على خلق الإنسان وإحيائه بعد موته، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأحقاف: ٣٣

. **الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها**: فالأرض والإنسان مخلوقان, وكما أن الأرض تحيا بعد موتها فكذلك الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٧

. **الاستدلال بإحياء الموتى**: فقد أجرى الله تعالى إحياء الموتى على يد أنبيائه كما في قصة بقرة بني إسرائيل قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْۦِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٧٣، وإحياء الطير لإبراهيم عليه السلام، والرجل الذي مرّ على قرية بائدة, فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وأصحاب الكهف الذين أمدّ الله في نومهم, ثم أحياهم؛ ليعتبر بهم الناس , ثم أماتهم , والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف, فأماتهم الله ثم أحياهم.

. **حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب:**

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٥ , وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ ص: ٢٧ - ٢٨

فلو لم يكن بعد الدنيا دارٌ آخرة وجزاء وحساب؛ فما الحكمة من وجود هذه الحياة الدنيا ؟! أمن الحكمة أن يوجد المسلم والكافر .. الظالم والمظلوم .. المصلح والمفسد، ثم يموت هذا, ويموت هذا ولا فرق ؟!؛ ولذا نبه – تعالى – في عدد من الآيات أنه خلق السموات والأرض بالحق أي ليس عبثا, أو باطلا لغير حكمة, وإن المتأمل في أحوال الناس يأبى عقله أن يصدق مثل هذا؛ لأنه لا يتفق هذا التصور الجاهلي مع خلق السموات والأرض مع ما فيهما من الإتقان والآيات العجيبة الدالة على حكمة خالقهما وعلمه وعدله , وهذا ما يقرره الله تعالى في مثل قوله جلا وعلا: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الجاثية: ٢١، وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القلم: ٣٥ - ٣٦

مما سبق : اقرأ سورة ق واستخرج ما ورد فيها من أدلة البعث :

.....

.....

.....

.....

2- الحشر:

بعد البعث يخرج الناس من قبورهم سراعاً يتبعون داعي ربهم خاشعة أبصارهم لا تسمع إلا صوت أقدامهم,[1] الإنس والجن والبهائم، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨، يحشرهم ربهم وقد تبدلت الأرض غير الأرض، «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي»[2] أي نقية لا شائبة قال تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا

(1) وهو معنى الهمس المذكور في قوله تعالى (يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا)[طه 108]

(2) [البخاري 6521 واللفظ له ومسلم 2790 من حديث سهل بن سعد ﷺ].

عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ طه: ١٠٥ ـ ١٠٨

من أحوال يوم القيامة:

طوله: قال تعالى ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾ المعارج: ٤ ـ ٧ , ولطول ذلك اليوم, وشدته يظن الناس أنهم ما لبثوا في الحياة إلا يوما أو بعض يوم، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الروم: ٥٥ ـ ٥٦

تغير الأرض والسموات: فتزلزل الأرض، وتنسف الجبال , وتدك وتكون ككثبان الرمل وكالصوف المنفوش، وتسير سير السحاب، وتفجر البحار وتسجر ناراً، وتسوى الأرض فلا ارتفاع فيها ولا انخافض، وتتحرك السماء وتتشقق، وتكون ألواناً مختلفة، والملائكة على أطرافها، ويذهب ضوء الشمس، وتتناثر النجوم، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٨، وقد وصف الله تعالى هذا التبديل في سور عدة كسورة الواقعة والحاقة والمعارج والتكوير والانفطار.

الرعب والفزع :فيكون حال الناس كحال السكران من هول ما يرى قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ الحج: ١ ـ ٢وتشخص الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر، وتتقلب القلوب والأبصار، ولا تعقل شيئاً، ويشيب الصغير من هول ما يرى.

انقطاع الأنساب، وتمني الخلاص ببذل كل غالٍ: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ عبس: ٣٣ ـ ٣٧، بل

يود المجرد لو يفتدي بهم من عذاب الله، ﴿ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ ﴾ المعـــــارج: ١١ - ١٥

وقال تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾ يونس: ٥٤

دنو الشمس وقيام الناس في عرقهم بحسب أعمالهم:

ويكون حال الناس كما وصفهم النبي ﷺ بقوله: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منه كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما», وأشار النبي ﷺ بيده إلى فيه[1]. ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[2].

ويظل الله تعالى في ذلك اليوم سبعةَ نفرٍ كما في الحديث: « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[3].

من أحوال الناس الخاصة في ذلك اليوم:

تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم العصيب، ويكون لبعض أصحاب المعاصي أحوال خاصة وردت بها الأحاديث، ومن ذلك:

ـ حال المشركين: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال : "أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة"[4].

(1) [مسلم 7206 من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه]

(2) [البخاري 6532 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه]

(3) [البخاري 660، واللفظ له، ومسلم 1031 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه]

(4) [البخاري 6523]

. حال مانعي الزكاة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» ثم ذكر ﷺ صاحب الإبل وصاحب البقر والغنم[1] .

. حال المتكبرين: قال ﷺ «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان»[2] والذر: النمل الصغار.

. حال أهل الغدر: عن ابن عمر قال قال رسول الله : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان»[3].

. حال ذي الوجهين: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[4].

. وأصناف يغضب الله تعالى عليهم غضبا شديداً , فلا ينظر إليهم ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم منهم: «المنّان الذي لا يعطي شيئا إلا منّه، والمنفِّق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»[5] ، و «شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[6].

الشفاعة العظمى للنبي ﷺ:

ثم تكون الشفاعة العظمى للنبي ﷺ، وذلك حين يشتد الكرب بالناس في عرصات القيامة ويطلبون فصل القضاء إلى الجنة أو إلى النار، فيشفع النبي ﷺ لفصل القضاء , وهو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون ويدخل في شفاعته آدم – عليه السلام – ومن دونه من الناس، وبها يظهر فضله ﷺ على العالمين.

(1) [مسلم 987]
(2) [الترمذي 2492 وقال: حسن صحيح]
(3) [البخاري 3016 ومسلم 1735 واللفظ له]
(4) [البخاري 6058، واللفظ له، ومسلم 6632]
(5) [مسلم 294 من حديث أبي ذر ﷺ]
(6) [مسلم 296 من حديث أبي هريرة ﷺ]

3- العرض والحساب:

أي حساب الله تعالى لعباده، قال تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة: ٦ - ٨، وقال تعالى:(يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» الحاقة 18، وتشهد الأعضاء على أصحابها قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥ ﴾ النور: ٢٤ - ٢٥ ، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ يس: ٦٥.

وقال ﷺ: « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة»[1].

وقال ﷺ : «من حوسب يوم القيامة عذب» فقالت عائشة – رضي الله عنها–: أليس قد قال الله تعالى: (فسوف يحاسب حسابا يسير»، فقال: « ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»[2].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما– ، أن النبي ﷺ قال: « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم»[3].

وأما الكافر ف « يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم, فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك »4 ، وفي رواية : « فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك»[5].

(1) [البخاري 6539، واللفظ له، ومسلم 1016 من حديث عدي بن حاتم ﷺ]
(2) [البخاري 6537، ومسلم 2876 واللفظ له]
(3) [البخاري 6070]
(4) [6538 من حديث أنس ﷺ]
(5) [البخاري 3334 واللفظ له ومسلم 2805]

ومن المؤمنين سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب[1].

وأول من يحاسب ثلاثة نفر رجل تعلم العلم وقرأ القرآن ليقال عالم وقارئ، ورجل قاتل ليقال: جريء، ورجل أنفق في سبيل الله ليقال جواد[2].

ويكون القصاص بين العباد، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء, فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[3] ، وعنه أن النبي ﷺ قال: « أتدرون من المفلس ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع , فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا, وقذف هذا, وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذه من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذت من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[4] ، ويكون القصاص بين البهائم أيضا فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[5].

وأول ما يقضي فيه بين الناس الدماء[6].

مما سبق : قارن بين حال المؤمن والكافر عند الحساب :

.....

.....

.....

4- نشر الصحف:

(1) [البخاري 6541 ومسلم 525 وهو من أفراده على البخاري]

(2) [مسلم 4923 من حديث أبي هريرة ﷺ].

(3) [البخاري 2449]

(4) [مسلم 2581]

(5) [مسلم 2582]

(6) [البخاري 6864 ومسلم 1678 من حديث ابن مسعود ﷺ]

فأما المؤمن فيأخذ كتابه من أمامه بيمينه ويرفعه ويعلنه مستبشرا به, وينقلب إلى أهله مسرورا، وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره مخفيا له كئيبا يدعو على نفسه بالويل، قال تعالى:(وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)[الإسراء].

5- الميزان :

بعد العرض والحساب يكون الميزان؛ فتوزن الأعمال والصحائف والعامل نفسه، وتتفاوت الأعمال في ثقلها في الميزان، فليست العبرة بكثرة العمل بل بنوعه وإتقانه وإخلاصه لله تعالى، ومن أعظم ما يثقل ميزان العبد: كلمة التوحيد المستوفية لشروطها، وحسن الخلق، وقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

فإذا انتهى العرض والحساب، ووزنت الأعمال؛ انقسم الناس إلى فريقين؛ فريق في الجنة وفريق في السعير، ومروا جميعا على الصراط على متن جهنم.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩ ﴾ الأعـــــراف: ٨ - ٩، وقال ﷺ: « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة »، وقال: « اقرؤوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ الكهف: ١٠٥»[1]

6- الحوض :

وهو الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ، ترده أمته يوم القيامة، ويمنع منه من خالف سنته، والأظهر أن الحوض يكون قبل المرور على الصراط، وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن النبي ﷺ قال:« أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم» وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال «فيقول: إنهم مني, فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك , فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي »[2].

(1) [البخاري 4729 واللفظ له ومسلم 2785 من حديث أبي هريرة ﷺ]

(2) [مسلم 5968-5969 وأخرجه البخاري من حديث عبدالله بن مسعود وأنس رضي الله عنهما]

ووصفه النبي ﷺ بقوله: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا»[1].

7- الصراط :

وهو جسر على متن جهنم، يمرّ عليه الناس، فمن اجتازه سلم، ومن سقط عنه سقط في النار، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ مريم: ٧١ - ٧٢، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر, وغُبَّر أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرا ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا, فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله , فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا رب فاسقنا, قال فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم, ولم نصاحبهم, فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً . مرتين أو ثلاثا . حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب, فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون: نعم, فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة, فقال: أنا ربكم, فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم.

قيل: يا رسول الله, وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق، وكالريح وكالطير, وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»[2].

(1) [البخاري 6579 ومسلم 5971 من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ، واللفظ له]

(2) [البخاري 4305، ومسلم 454 واللفظ له]

وبعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقف من كان عليه حق , أو في قلبه غل على أخ له, فيخلصون من ذلك كله، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة كما قال النبي ﷺ« يخلص المؤمنون من النار, فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة, فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله كان في الدنيا»[1] وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ الحجر: ٤٧

8- الجنة والنار

خلقهما الله تعالى لجازاة العباد، وهما باقيتان لا تفنيان أبداً , لأن الله تعالى أراد لهما ذلك.

من مشاهد الجنة:

إذا دخل المؤمنون الجنة, واجتازوا أهوال القيامة والصراط قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ فاطر: ٣٣ - ٣٥, والجنة دار الكرامة, ودار الفائزين ودار مرضاة الله تعالى, قال تعالى : ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ السجدة: ١٧ ، لها ثمانية أبواب، ما بين المصرعين من أبوابها مسيرة أربعين سنة، وهي درجات، يرى أهل الجنة أصحاب الغرف العالية في الجنة كما نرى الكوكب الدري الغائر في السماء، وأعلاها وأوسطها الفردوس، منها تتفجر أنهار الجنة، وأعلاها عرش الرحمن – جل وعلا –.

بناؤها من الذهب والفضة، وتربتها المسك والزعفران، وحصباؤها الدر والياقوت، تجري فيها أنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر لذيذة، وأنهار من عسل مصفى، وفيها عيون الماء، كعين الكافور والتسنيم والسلسبيل، وآنيتها الذهب والفضة، وفيها قصور عالية، وفيها خيام؛ الخيمة لؤلؤة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا، وأما أشجار الجنة فسيقانها من ذهب، وفيها أشجار السدر والطلح سهلة التناول,وليس فيها شوك، تتفتق الثمرة الواحدة منها عن سبعين نوعا من الطعوم والألوان التي يشبه بعضها بعضا,وهي مختلفة الطعوم، وأما سدرة المنتهى فنبقها كقلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة.

وفيها شجرة يسير الراكب الجواد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، والجنة ليس فيها كدر ولا غل ولا حقد، قلوب أهلها صافية نقية، وأعمالهم وأقوالهم طيبة، لا لغو فيها ولا تأثيم.

(1) [البخاري 6170 من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وهو من أفراده على مسلم]

وأول من يدخلها نبينا محمد ﷺ وأمته، ويدخل فقراء المهاجرين والفقراء عامة قبل الأغنياء بأربعين سنة, وبعضهم بخمسمائة سنة، وآخر من يدخلها من المسلمين من دخل النار بسبب ذنوبه، فإذا خرجوا من النار, وقد احترقوا إلا موضع السجود صُبّ عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبّة.

وأما أهل الجنة فـ «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا»[1] وهم على صورة آدم عليه السلام طولهم ستون ذراعاً، أبناء ثلاث وثلاثين، لا يمسهم فيها نصب ولا حزن، يأكلون ويشربون للتنعم لا للجوع والعطش، ورشحهم المسك.

ومن أفضل ما في الجنة من النعيم رضوان الله – تعالى – عليهم فلا يسخط عليهم أبداً، وأعظم نعيمها رؤية الله – جل وعلا –.

وأما أعمال أهل الجنة التي استحقوا بها المراتب العالية برحمة الله وبعد توحيد الله تعالى: الشهادة في سبيل الله، والسعي على الأرملة والمسكين، وكفالة اليتيم، وحسن الخلق، وبناء المساجد، وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والمحافظة على صلاة ثنتي ركعة تطوعا في اليوم، والصبر والتوكل، والاستقامة، والخوف من الله تعالى، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

من مشاهد عذاب النار:

والنار واسعة، بعيد قعرها، شديد حرها، سمع النبي ﷺ وجبة فقال لأصحابه: « تدرون ما هذا ؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم, قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي في النار إلى الآن»[2] ، ويؤتى بها يوم القيامة يجرها (4900) مليون ملك،[3] لها سبعة أبواب لكل باب نصيبٌ من أهلها، إذا دخلوها أغلقت عليهم، فهي مؤصدة لا مطمع لهم في الخروج منها، وهي درجات بعضها تحت بعض، متفاوتة في عذابها، وقودها الناس والحجارة، شديدة الحر، نتنة الرائحة، وما ظلها إلا دخان لا يظل ولا يقي من لهبها، ترمي بشرر عظيم أسود، تلفح الوجوه، وتحرق الجلود، حتى تصل إلى العظم، وماؤها يشوي الوجوه، ويصهر ما في البطون، القطرة من الزقوم لو وقعت في الأرض لأفسدت على الناس معايشهم، والغمسة فيها تنسي نعيم الدنيا، فيها أغلال وقيود.

(1) [البخاري 3245 ومسلم 7151 من حديث أبي هريرة ﷺ]

(2) [مسلم 2844 من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو من أفراده على البخاري]

(3) عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها. مسلم 7164.

يضخم فيها الكافر حتى يكون ضرسه أو نابه مثل جبل أحد، ويغلظ جلده حتى يكون مسيرة ثلاث، وكلما احترق جلده أبدله الله جلدا آخر ؛ ليذوق العذاب، طعامهم الشوك والزقوم يغصون في أكله ولا يغني من الجوع شيئاً، فإذا امتلأت بطونهم منه أخذ يغلي في بطونهم كغلي الحميم، فيطلبون الشراب؛ فيسقون فيشربون من الحميم شربا كثيرا لا يرتوون منه فتتقطع أمعاؤهم، وأما لباسهم فحلل مفصلة من النار، وفيها ثياب من قطران، وثبات من جرب، وهم في عذاب دائم لا ينقطع عنهم ولا يخفف عنهم من العذاب، وتغل أيديهم إلى أعناقهم ويسحبون في النار، ويصب على رؤوسهم الحميم فيصهر جلودهم وبطونهم، وأهونهم عذابا من في أسفل قدميه جمرة يغلي منها دماغه. هذا وصفها الفظيع وحقيقتها أعظم من ذلك ولا يعلمها إلا الله تعالى، قال تعالى :(فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز).

وأما جرائم الكفار التي استحقوا عليها العقوبة فمتنوعة ذكرها الله تعالى، وهي الكفر والشرك، والتكذيب بيوم القيامة، وترك التكاليف الشرعية كالصلاة وإطعام المساكين، وطاعة ساداتهم الرؤساء في ضلالهم، والاستكبار على الحق، والنفاق، والسخرية من المؤمنين. وقد ثبت في الأحاديث الوعيد بالنار على من فعل جملة من المعاصي وإن كان من المسلمين منها: الحسد والكذب، والخيانة، والخديعة، وقطيعة الرحم، والبخل، وترك الفرائض، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وأكل أموال الناس بالباطل، والزنا، والكذب على النبي ﷺ، وقاتل نفسه، وقاتل النفس التي حرم الله بغير حق، والمصورون، والنساء الكاسيات العاريات، والشرب في آنية الذهب والفضة، وغيرها من المعاصي.

آثار الإيمان باليوم الآخر:

1. المسابقة بالعمل للدار الباقية والاستكثار من الصالحات.
2. له أثر عظيم في طمأنينة القلب وعدم اليأس والقنوط من متاعب الحياة أو ما قد يوجد في بعض الفترات من ضعف الحق وغلبة الباطل؛ لأن هذه دار اختبار، وكلٌ سيحاسب على ما قدمت يداه؛ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.
3. محاسبة النفس، وضبط الأقوال والأعمال بالشرع، وأما الكافر فهمه الاستمتاع بأقصى ما يستطيع من متع الدنيا قبل مفراقتها دون قيد من دين أو أخلاق.

نشاط رقم (1):

قارن بين ما ذكره تعالى عن نشر الصحف في سورتي الحاقة والانشقاق، ثم عبر عنه بأسلوبك.

.....

.....

.....

.....

نشاط رقم (2):

المؤمن مأمور بالاستعداد لليوم الآخر ، ضع لنفسك برنامجاً يومياً تحرص من خلاله على فعل الواجبات, والتزام السنن والمستحبات, وتبتعد عن المحرمات.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

نشاط رقم (3):

اليوم الآخر حقيقة ثابتة لا تقبل الشك إلا أن بعض الناس قد يشكك في وقوعه ، بالتعاون مع زملائك لخص الأدلة على البعث بعد الموت, وأخرجها في نشرة مناسبة, ووزعها على أهل بلدك.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

التقويم:

س1: ما المراد بالإيمان باليوم الآخر؟

س2: ما الحكمة من استئثار الله بعلم الساعة ؟

س3: اذكر علامات الساعة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام.

س4: ما الدور الذي تقوم به الدابة آخر الزمان؟

س5: علل: أمرنا بالتعوذ من المسيح الدجال في كل صلاة قبل السلام.

س6: متى يؤمن الناس أجمعون؟ وهل ينتفعون بذلك؟

س7: من أين تخرج النار التي تحشر الناس آخر الزمان؟

س8: كيف يعتصم الإنسان من المسيح الدجال؟

س9: صف كيف تكون العلاقة بين الآباء والأبناء يوم القيامة عند قيام الساعة.

س10: من أول من يحاسب يوم القيامة ؟ وما سبب العقوبة التي لحقت بهم؟

س11:ما أعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة ؟

س12: ضع علامة (√)أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×)أمام الخاطئة مع تصحيح الخطأ مما يلي:

أ. من علامات الساعة آخر الزمان انتصار المسلمين على اليهود ( ).

ب. خروج المهدي من علامات الساعة الكبرى التي ذكرت في حديث حذيفة الغفاري ﷺ ( ).

ت. يتبع الدجال سبعون ألفاً من يهود أصبهان ( ).

ث. يدخل الدجال آخر الزمان كل مدينة يمر بها ( ).

ج. المراد بآيات ربك في قوله تعالى:﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ الأنعام: ١٥٨ يأجوج ومأجوج ( ).

الوحدة الثانية عشرة

الإيمان بالقدر

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن

- يوضح معنى الإيمان بالقدر.
- يستدل على وجوب الإيمان بالقدر.
- يبين مراتب القدر.
- يبين الموقف من أقدار الله المؤلمة.
- يناقش بعض القوادح في الإيمان بالقدر.
- يبين ثمرات الإيمان بالقدر .
- يستشعر أثر الإيمان بالقدر في حياته.
- يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه

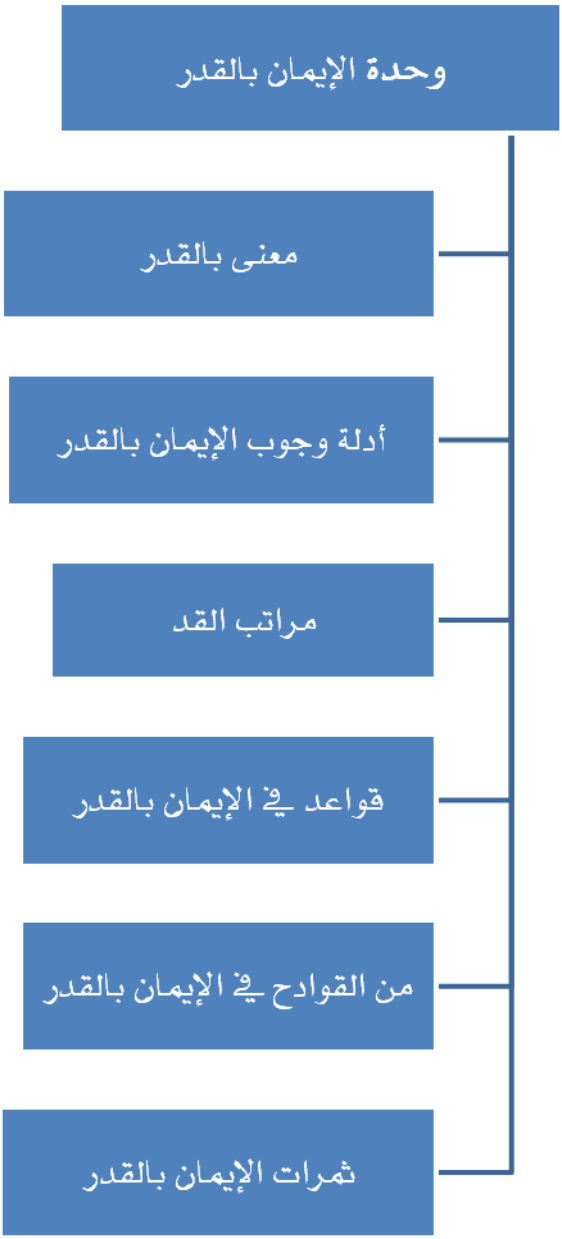

مدخل

حين ننظر إلى هذا الكون، ونشأته، وخلق الكائنات فيه، ومنها هذا الإنسان، نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقضاء والقدر.

فما القضاء والقدر ؟ وما حكم الإيمان به ؟ وما أثر ذلك على حياة المؤمن؟

معنى الإيمان بالقدر

التصديق الجازم بأن الله تعالى عليم بكل شيء، وأنه كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، فلا يقع شيء إلا وفق علمه وتقديره.

وورد في النصوص الشرعية ذكر القضاء والقدر، فقيل لا فرق بينهما، وقيل الفرق بينهما أن القدر تقدير ما هو كائن، والقضاء وقوع ما قدره الله – تعالى –.

الأدلة على وجوب الإيمان بالقدر :

تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقدر، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ الطلاق: ٣، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ القمر: ٤٩، كما ثبت في حديث جبريل – عليه السلام – ذكره ضمن أركان الإيمان، حتى قال ابن عمر ﷺ لما سأله رجل عمن ينكر القدر: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر» ثم استدل بحديث جبريل عليه السلام[1].

مراتب القدر:

وهي أربع مراتب لا يصح الإيمان بالقدر إلا باعتقادها جميعا، وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، وهي: الإيمان بأن الله قد أحاط بكل شيء علما؛ علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فكل ما يقع فإنه مطابق لما علمه الله تعالى في الأزل قبل أن يخلق الخلق.

دليلها: : قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ لقمان: ٣٤، وقال تعالى عن الكفار حين يتمنون الرجعة للدنيا: ﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾ الأنعام: ٢٨

(1) [مسلم 93]

فأخبر بما كانوا سيعملونه لو ردوا مع كونهم لا يردون للحياة الدنيا، وآيات علم الله تعالى كثيرة جداً، وعن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة» فقال: فقال:« اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: «فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى»1 .

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي: الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ وذلك أنه – جل وعلا – خلق القلم، وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ ما سبق به علمه أنه سيكون إلى قيام الساعة.

دليلها: قال الله تعالى :﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يس: ١٢، وهو اللوح المحفوظ، وعن عبدالله بن عمرو ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة, قال: وعرشه على الماء »[2] ، وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول : «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب, فجرى بما هو كائن إلى الأبد»[3] ، وعن ابن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما, ثم يكون علقة مثل ذلك, ثم يكون مضغة مثل ذلك, ثم يبعث الله ملكا ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد, ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة»[4].

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة، وهي: الإيمان بمشيئة الله النافذة؛ فلا يقع في الوجود إلا ما شاءه الله تعالى، وما لم يشأ وجوده؛ فإنه لا يقع؛ لأن الله تعالى لم يرده، وعليه, فكل ما وقع فإن الله تعالى أراد وقوعه، وما لم يقع فإن الله لم يرد وقوعه.

(1) [البخاري 4945 ومسلم 6731 واللفظ له]
(2) [مسلم 6748 وهو من أفراده على البخاري]
(3) [الترمذي 3319، واللفظ له، وأبوداود 4700]
(4) [البخاري 3208، واللفظ له، ومسلم 6723]

ودليلها: قول الله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان: ٣٠، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة: ٢٥٣، وقوله ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ المائدة: ٤١

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، وهي: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، فما في هذا الكون من المخلوقات وأفعالها فهو مخلوق لله تعالى.

دليلها: قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الأنعام: ١٠٢، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الصافات: ٩٦, ونعرف معنى خلق الله تعالى لأعمال الناس إذا عرفنا أن الأفعال لا يقع من العبد إلا باجتماع القدرة على العمل وإرادته له، فمن أكل طعاما؛ فإنه لا يأكله حتى يكون قادراً على الأكل ومريداً له، وهذه القدرة وهذه العمل القلبي من مخلوقات الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وركب فيه هذه الأشياء، لكن العبد هو الذي يوجه إرادته ويختار الفعل أو الترك.

مما سبق : لخص مراتب القدر :

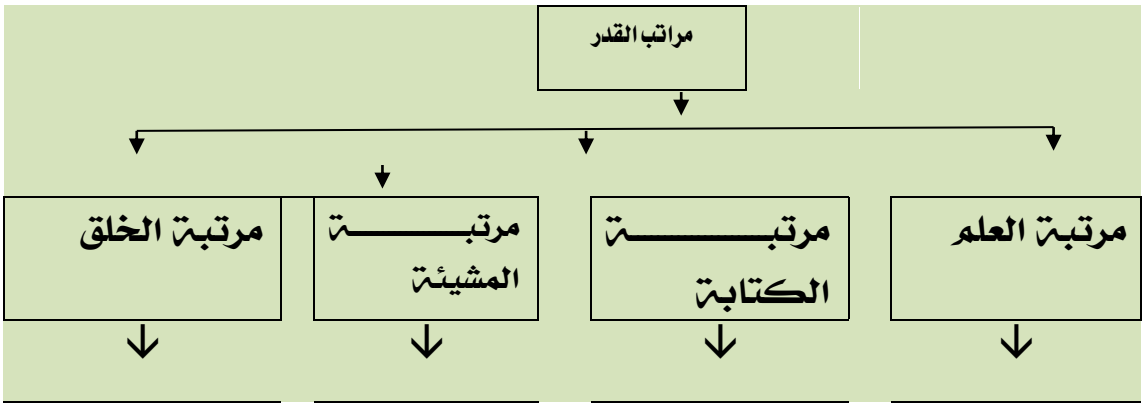

المراد بها :	المراد بها :	المراد بها :	المراد بها :
↓	↓	↓	↓
دليلها :	دليلها	دليلها	دليلها

قواعد في الإيمان بالقدر:

. وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، ولا يقبل الله تعالى إيمان عبد حتى يؤمن به.

. القدر سر من أسرار الله تعالى، لا يجوز الخوض فيه بالعقل وسؤال لِمَ ؟ وكيف ؟ فإن الله تعالى: ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٣ ، كما أن البحث في كيفية القدر بحث في كيفية صفات الله تعالى وهو مما لا طاقة للعقل البشري به، والواجب الاقتصار والاهتداء بما ورد في الكتاب والسنة، وإلا وقع المسلم في أنواع من الضلال والانحراف عن الشريعة, وقد غضب النبي ﷺ أشد الغضب من الخوض في القدر, فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر, فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال « أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه ».[1]

(1) [الترمذي رقم 2133 وحسنه الألباني]

. الله تعالى حكيم عليم رحيم في ما قدره، ولا يخلق شيئاً لا خير فيه مطلقا، فالكفر والمعاصي أراد الله تعالى وجودها . لأنها وقعت بإرادته . لكنه لا يحبها ولا يرضاها كما قال تعالى ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴾ الزمر: ٧, وفي وجودها خير من جهة أنه يتميز بها الحق عن الباطل، ويبتلي المؤمنين ببيانهم للحق وردهم الباطل، ويثيبهم على ذلك.

. للعبد مع المقدَّر حالات:

1/ إذا كان مما لا تحكم له فيه كالمصائب والأمراض:

- فحاله قبل وقوع القدر: دعاء الله والاستعانة به والتوكل عليه في تحقيق المراد.
- وحاله بعد وقوع القدر: الصبر عليه والرضا؛ لأنه قضاء كتبه الله عليه.

2/ إذا كان المقدَّر من فعل الإنسان:

- فقبل الفعل يعزم على فعل المأمورات واجتناب المنهيات، ويستعين بالله على ذلك.
- فإذا فعله وكان خيراً وطاعة أو تركا لمعصية: يحمد الله تعالى ويشكره على توفيقه وإعانته، ويستغفر من التقصير.
- وإذا كان ذنبا: يستغفر الله ويتوب إليه، ويلوم نفسه على معصيتها لله تعالى.

ومن الأدلة على ما سبق قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ غافر: ٥٥، فأمره بالصبر على المصائب، والاستغفار من الذنب. وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك, واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قَدَرُ الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1]فالمؤمن يرضى ويفوض أمره لله، وبهذا يتخلص من مرض العجز وتقوى نفسه على طاعة الله تعالى، ولا يتذرع بالقدر على العجز وترك العمل.

. الصبر من لوازم الرضا بقضاء الله، فإن التسخط والاعتراض على أقدار الله ينافيان الصبر والرضا، والصبر على أقدار الله المؤلمة يكون بالقلب واللسان والجوارح :

(1) [مسلم 2664 وهو من أفراده على البخاري]

- فصبر القلب بحبسه عن الجزع , قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ التغابن: ١١، قال علقمة: هو الرجل تُصيبُهُ المصِيبةُ, فَيعلم أَنها من عِندِ الله، فَيرضَى ويُسَلِّم.
- وصبر اللسان بحبسه عن التشكِّي لغير الله – سبحانه وتعالى –, قال رسول الله ﷺ: « اثْنَتَانِ في الناس هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ على الْمَيِّتِ»[1] فالنياحة على الميت برفع الصوت بالبكاء والعويل مناف للصبر، والمراد بالكفر في الحديث الكفر الأصغر المنافي لكمال التوحيد ولا يخرج من الإسلام.
- وصبر الجوارح بحبسها عما يدل على عدم الرضا كلطم الخدود وشقِّ الجيوب, قال رسول الله ﷺ: « ليس مِنَّا من ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[2].
- والثانية: إرادة شرعية، وهي تقتضي محبة الله تعالى ورضاه للشيء الذي أراده شرعاً، كالإيمان والطاعات.

من القوادح في الإيمان بالقدر:

. إنكار القدر، أو إنكار إحدى مراتبه الأربع، وهذا الإنكار كفر بالله تعالى، وتكذيب لله ورسوله ﷺ.

ـ ترك العمل اتكالا على القدر, وهو خطأ لأن كتابة أعمال العبد تكون بناء على ما سبق في علم الله – تعالى – أن العبد سيعمله بعد أن يخلق، والعبد بعد أن يوجد لا بد وأن يقع عمله وفق علم الله تعالى؛ لأن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتخلّف، والله – عز وجل – أنزل الشرائع، وأمر عباده بامتثال الأمر والنهي، وأخبرهم بقدره السابق ليؤمنوا به، وليجتهدوا في طاعته، لا ليتذرعوا بالقدر على ترك العمل, فمن ترك العمل اتكالا, فإنه يكون قد وقع في محاذير منها: سوء الظن بالله تعالى، وادعاء أنه علم ما قدره الله عليه، وفيه ترك لما أوجبه الله عليه من العمل, والعجب أن من الناس من يتفلت من التكاليف محتجا بالقدر . ولا حجة له فيه . وفي المقابل يجتهد في طلب الرزق، ولا يرضى ممن آذاه أو أتلف ماله أن يعتذر محتجاً بالقدر على ذلك.

(1) [مسلم 227 من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو من أفراده على البخاري]

(2) [البخاري 1297، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ، واللفظ له، ومسلم 285]

. الاحتجاج بالقدر على ترك العمل، فيقول العبد: لا أفعل الخير؛ لأن الله لم يرده مني, وقد رد الله على مثل هذا القول بقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ الأنعام: ١٤٨ , فمثل هذا القول دعوى لا دليل عليها.

. التسخط والاعتراض على أقدار الله تعالى، ومما يدل على عدم الرضا:

- أن يقول الرجل مثلا: لو فعلت كذا لما وقع هذا, ولكان الأمر على ما أحب، وقد نهى النبي ﷺ عن قول (لو) إذا كانت على سبيل الاعتراض, والتسخط على القدر.
- سب الزمان والوقت الذي وقعت فيه المصيبة؛ لأن الزمان لا أثر له في وقوع المصائب أو المحبوبات على العبد، إنما تقع بتقدير الله تعالى، فسب الزمان في حقيقته سب لمن خلقه، ولذا ورد في الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « قال الله تعالى: يُؤْذِينِي بن آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ »[1]0

ثمرات الإيمان بالقدر :

1. الاجتهاد في بذل الأسباب فيما ينفع العبد في دينه ودنياه، وعدم التواكل (ترك الأسباب)؛ لأن التواكل مخالف للإيمان بالقدر.
2. يجعل المسلم ذا شخصية متزنة قوية ثابتة في جميع أحواله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٢ ، فالمؤمن على خلاف ذلك؛ إذا مسته الضراء صبر فكان خيراً له، وإذا مسته السراء شكر, فكان خيراً له.
3. تعلق القلب الدائم بالله تعالى، وهو سبب لكثير من عبادات القلب كالإخلاص وعدم تعلق القلب بالمخلوقين؛ لأنهم لا ينفعون ولا يضرون، والاستعانة والتوكل على الله تعالى، ويكون العبد بين الخوف والرجاء، فلا يغتر العبد بما هو عليه من الطاعة؛ فإنه لا يأمن مكر الله تعالى، ولا يدري بم يختم له، وإذا وقع في شيء من المعاصي لم ييأس من رحمة الله , ورجا أن يبدل الله حاله إلى خير.

(1) [أخرجه البخاري 4826، واللفظ له، ومسلم 5862]

4. الشجاعة في الحق، وقوة القلب في مواجهة الصعاب؛ لأنه يعلم أنه لن يصيبه إلا شيء كتبه الله عليه.
5. تطهير النفس من داء الحسد؛ فالرازق هو الله تعالى، وحقيقة الحسد اعتراض على ما قدره الله تعالى.

نشاط رقم (1):

ضع إشارة (✓) أمام الخيار المناسب في العبارات الآتية

العبارة	سب للدهر	اعتراض على القدر	سب للريح	صحيحة
اليوم الذي عرفت فيه فلاناً يوم منحوس.				
حين لا ننجح في تحقيق ما نريد علينا أن نُقوِّم أنفسنا جيدا ونبحث عن السبب لتلافيه.				
لو أني سلكت الطريق الآخر لما وقع علي الحادث.				
قاتل الله الأعاصير لقد أهلكت أموالنا.				
لو قابلتك في السوق لأكرمتك.				
لا أدري لماذا تتوالي علي المصائب دائماً ؟!				
أحتاج إلى اكتساب المهارات والمؤهلات التي تكون سببا لتنوع فرص الرزق.				

نشاط رقم (2):

قال ﷺ : "احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ولا تَعْجِزن، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لكان كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وما شَاءَ فَعَلَ، فإن لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "

بين وجه دلالة الحديث على ما يلي:

العبارة	وجه الدلالة
اللجوء لله – عز وجل –	
فعل الأسباب	
تذكير النفس بقدر الله – عز وجل –	
النهي عن التحسر على مافات	

نشاط رقم (3):

كيف تحقق الصبر على أقدار الله المؤلمة بقلبك ولسانك وجوارحك في الموقف الآتي:

– دخلت في مساهمة تجارية وخسرت جميع مالك.

.....

.....

.....

التقويم:

س1: ما معنى الإيمان بالقدر؟

س2: ما الفرق بين القضاء والقدر ؟

س3: ما أول شيء خلق الله ؟ وبماذا أمره ؟

س4: بين ما يشترك فيه أهل الإيمان وأهل المعاصي من حيث الإرادة الشرعية والكونية.

س5: ما معنى خلق الله لأعمال الناس؟

س6: كيف يتخلص المؤمن من مرض العجز؟

س7: اربط الأدلة الآتية بما تدل عليه من مسائل من خلال ما درست:

الدليل	الجواب	المسائل
﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾		وجوب الإيمان بالقدر.
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ ﴾		مرتبة العلم.
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾		مرتبة الكتابة.
﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾		مرتبة المشيئة.
﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾		مرتبة الخلق.
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾		عدم الخوض في القدر.
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾		الصبر من لوازم الإيمان بالقدر.
﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾		الاحتجاج بالقدر على ترك العمل.

الوحدة الثالثة عشر

السنة والبدعة

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن:

- يبين حكم التمسك بالسنة.
- يوضح مفهوم الافتراق ويبين أسبابه.
- يبين الخصائص الأخلاقية لأهل السنة والجماعة.
- يبين مفهوم البدعة.
- يحذر من البدع القولية والعملية .
- يحلل منهج السلف الصالح في التعامل مع أهل البدع.
- يوضح الأصول الجامعة للابتداع .

مدخل:

أرسل الله نبيه محمدا ليكون معلماً وهادياً للناس ومثالاً عملياً للنهج الصحيح ، ومن هنا وجب اتباعه والاقتداء به والاهتداء بهديه .

فمن اتبع هديه وسار على نهجه فهو من أهل سنته ، ومن خالف هديه ونهجه وأحدث فيه ما ليس منه فهو المبدع الحائد عن السنة.

وجوب التمسك بالسنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾الأنعام: ١٥٣ ، واتباع الصراط المستقيم ولزومه يكون بالتمسك بما كان عليه النبي ﷺ ظاهرا وباطنا، وما كان عليه أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقد روى جماعة من الصحابة . رضي الله عنهم . عن النبي ﷺ، أن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وجاء في وصف الفرقة الناجية في بعض تلك الأحاديث بأوصاف منها: (وهي الجماعة)، (ما أنا عليه وأصحابي)[1].

فمن استمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنه؛ فهو من أهل السنة، ومن جماعة المسلمين، ومن الفرقة الناجية يوم القيامة من عذاب الله تعالى.

وقوع الافتراق في الأمة :

أخبر النبي ﷺ أن الأمة ستفترق، وهذا الخبر ثابت في كتاب الله تعالى في آيات عدة كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ الأنعام: ٦٥ ، والافتراق والاقتتال واقع بين الأمة لا محالة، وقد سأل النبي ﷺ ربه أن لا يسلط بعض الأمة على بعض ؛ فلم يجبه إلى ذلك[2].وقال تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٦ قال ابن عباس ﷺ: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق.

(1) [ابن ماجه 3992، وأبوداود 4596، 4597].

(2) [مسلم 7258 من حديث ثوبان ﷺ، والترمذي 4252 من حديث خباب بن الأرت ﷺ]

وقد وقع ذلك، وسيقع؛ فعلى المسلم أن يعرف ما يجب عليه عند وقوع الفتن، وأن يعرف سبيل الفرقة الناجية ليسلكه، وسبل الفرق الهالكة ليتجنبها.

وفيما يلي عرض موجز لفضل أهل السنة والجماعة وخصائصهم؛ ليتمسك المسلم بسبيلهم، وبيان للبدعة وأهلها ليحذر المسلم منهم.

فضائل أهل السنة والجماعة:

1. أعظم فضيلة لهم أنهم هم أهل السنة، وأهل جماعة المسلمين، وليس معنى الجماعة الكثرة، بل قد تكون جماعة المسلمين قلة كما كان المستضعفون من المسلمين بين المشركين، ويأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد، فالجماعة ما وافق الحق , وإن كنت وحدك كما قال عبدالله بن مسعود , وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ.
2. هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية: عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[1].
3. الغرباء عند فساد الزمان: عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ « بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا ؛ فطوبى للغرباء »[2] ، وسأل عبدالله بن عمرو ﷺ فقال: من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[3] .
4. أهل نعمة الله تعالى وكرامته في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ النساء: ٦٩ ، فمن آمن بالله واتبع سنة نبيه ﷺ؛ فإنه ممن أنعم الله عليه، وكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا رفقة أحسن من هؤلاء.

(1) [البخاري 3641 ومسلم 4955 واللفظ له]
(2) [مسلم 372 وهو من أفراده على البخاري]
(3) [مسند الإمام أحمد 6650]

الخصائص الأخلاقية والسلوكية لأهل السنة والجماعة:

1. الاعتصام بالكتاب والسنة . وهو سبب فضلهم وشرفهم . والتسليم والتعظيم لهما، فلا يقدمون عليهما لا عقلا ولا عرفا ولا ذوقا، ولا يعارضون الأخبار أو الأوامر أو النواهي بشيء من ذلك , وأما أهل الأهواء والبدع فكثيرا ما يعترضون على الشرع بالشبهات العقلية والأذواق والوجدانيات, وقد امتدح الله تعالى حال المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء: ١٢٥ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ لقمان: ٢٢ ، ولهذا أثر عن عدد من سلف هذه الأمة قولهم: من الله التنزيل، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم.
2. هم أهل العلم والعدل، وهداة الناس إلى الصراط المستقيم: لأنهم أتباع النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾يوسف: ١٠٨ ، وإذا كان القاضي الذي لا يحكم بين الناس بالعلم والعدل في النار؛ فكيف بمن يحكم في الملل والأديان بغير هدى من الله ؟! وإذا كان الله تعالى قد أمرنا بالعدل مع الكفار؛ فكيف بالعدل مع المخالفين من أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾المائدة: ٨ ، وهذا هو منهج أهل السنة مع مخالفيهم من الكفار والمبتدعة جميعاً، ومن عدلهم أنهم لا يتكلمون إلا بعد التثبت، ويميزون بين المعذور وغيره، وبين من له سابقة في الإسلام وبين متبع الهوى.
3. أرحم الناس بالناس، يحبون لهم الخير ويدلونهم عليه، ويصبرون في دعوتهم على الأذى؛ لأنهم حملة ميراث النبوة علما وعملاً، فكما أنهم ورثوا علم النبوة؛ فإنهم يبلغونها على منهاج النبوة.

4. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: ويدل على هذا أدلة كثيرة منها حديث عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ,ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[1] ، وبذلك استحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس.
5. يتمسكون بمكارم الأخلاق، ومن تتبع سير عامة أهل السنة يجد أنهم أكمل المؤمنين إيمانا، وأحسنهم أخلاقا؛ يأمرون بصلة من أمر الله به أن يوصل، ويصلون من قطعهم، ويعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويأمرون ببر الوالدين، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، وينهون عن مساوئ الأخلاق من الفخر والخيلاء والبغي وأنواع الظلم، ويقومون بحق النصيحة لله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.
6. يحافظون على الجماعة وائتلاف القلوب، ويطيعون من ولاه الله أمرهم بالمعروف، وأما ما يقع بينهم من اختلاف في المسائل العلمية، فيتناقشون فيه بحسب الدليل مع بقاء الألفة بينهم، واعتراف بعضهم لبعض بالفضل.
7. ولاؤهم للحق وحده، عليه يوالون، وعليه يعادون، فالناس عندهم سواسية لا طبقية بينهم، ولا أفضلية لعرق على آخر، وإنما يتفاضل الناس عندهم بالتقوى، فأحب الناس إليهم أكثرهم طاعة لله تعالى، وبقدر ما يكون في العبد من التقصير والمعصية يكون بغضهم له.

مما سبق :لخص ما مر بك من صفات وأخلاق لأهل السنة والجماعة في الشكل الآتي:

1()[مسلم 179، وبمعناه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ برقم 177 وكلاهما هو من زياداته على البخاري]

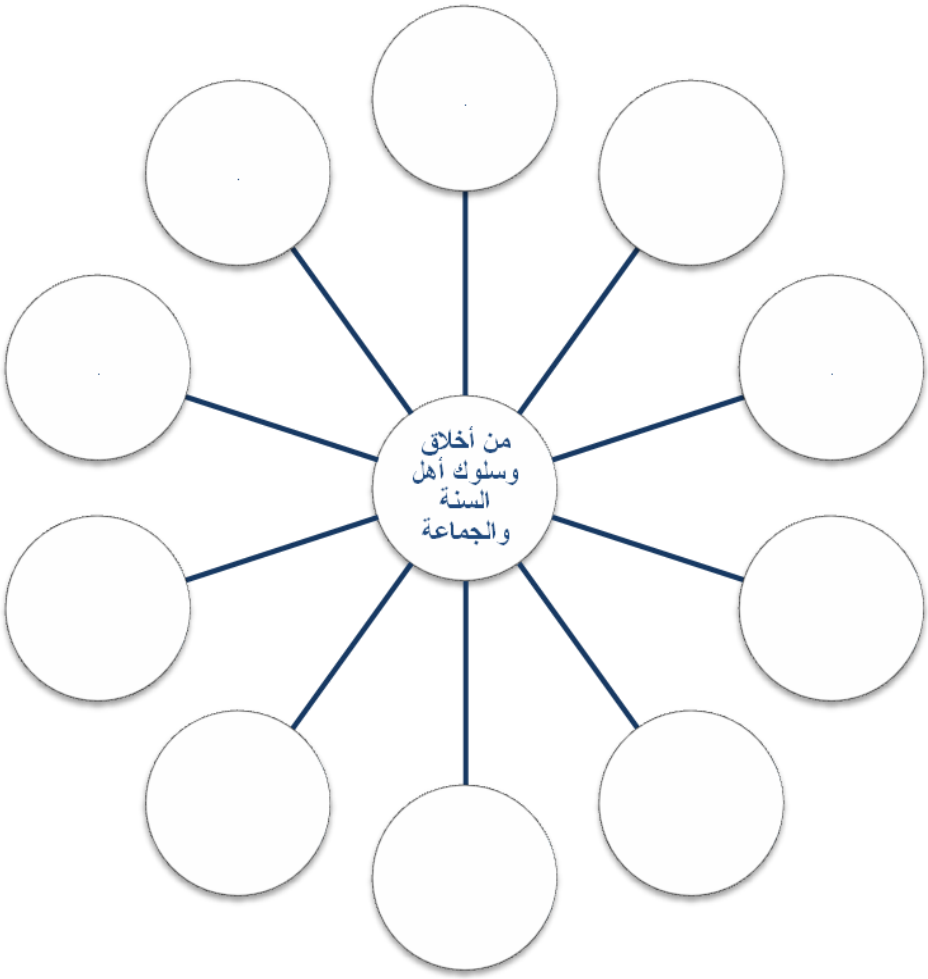

معنى البدعة:

معنى البدعة في اللغة : الاختراع على غير مثال سابق ,كقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾البقرة: ١١٧ أي مخترعهما على غير مثال سابق.

ومعنى البدعة في الاصطلاح: ما أحدث في الدين، وليس له في الشرع ما يدل عليه.

وهي نوعان:

الأول : إحداث ما لا أصل له في الدين مطلقا، كاختراع عبادة جديدة، كصلاة على صفة جديدة، أو التقرب إلى الله بالاحتفالات أو الوقوف في الشمس، أو تحريم بعض الطيبات، ويدخل فيها سائر العقائد المنحرفة عن دين الإسلام.

الثاني : إحداثٌ في عبادة مشروعة في أصلها، لكن يضاف إليها قدر زائد عن المشروع، كالزيادة في عددها كمن جعل المغرب أربع ركعات، أو كالزيادة في هيئتها كمن جعل لذكر الله أوضاعاً خاصة كالأصوات الجماعية، أو أضاف قيداً كتخصيص أيام في السنة بأذكار وعبادات خاصة، كتخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام أو صيام؛ فالصلاة والصوم مشروعان لكن البدعة في تخصيصهما بهذا الوقت، ووجه البدعة هنا أنه بهذا التخصيص يعتقد أن الصلاة والصيام في هذا الوقت لهما فضيلة خاصة , وإلا لم يكن لهذا التخصيص معنى.

وهذا النوع من البدعة هو الأكثر ويخطئ فيه الناس؛ لأنهم ينظرون إلى كون أصل العبادة مشروعا، ولا ينظرون إلى ما أضيف إليها.

حكم البدعة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[1]، أي من أحدث في ديننا ما ليس منه فعمله مردود عليه، وهذا فيه ذم للبدعة، وبيان بأن البدعة خاصة بأمور الدين، وأما أمور الدنيا لا يدخلها الابتداع، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: « وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»2 فهذا يدل على أنه لا توجد بدعة مقبولة، ومما يزيد من إثم البدعة أن فعلها يغري الآخرين بفعلها؛ فيتحمل فاعلها بذلك إثمه وإثم من اقتدى به، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من سن في الإسلام سنة حسنة , فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[3].

(1) [البخاري 2697، ومسلم 1718]

2() [مسلم 867 وهو من أفراده على البخاري]

(3) [مسلم 2351 وهو من أفراده على البخاري]

والبدع على فحشها ونكارتها متفاوتة، فمنها ما هو كفر كالذبح لغير الله تعالى ؛ كالذبح للملائكة والشياطين والموتى، وكالطواف بالقبور، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، وكالصلاة ودعاء الله عندها.

وأما ما ورد في بعض الآثار من وصف بعض الأعمال بأنها بدعة حسنة، فليس معناها تحسين البدعة، وإنما هو استعمال للبدعة بمعناها اللغوي أي أنها فعل جديد حسن ,ومثال ذلك:

جمع المصحف في زمن أبي بكر الصديق ﷺ؛ فإنه بدعة حسنة بمعنى أنه أمر جديد حسن لكنه ليس بدعة؛ لأن أصل كتابة القرآن كانت موجودة في حياة النبي ﷺ حيث كان له كتبة يكتبون عنه الوحي.

ومثل جمع عمر بن الخطاب ﷺ للناس في صلاة التراويح على إمام واحد، فإنه ليس بدعة في الدين؛ لأن الصحابة – رضي الله عنهم – اجتمعوا على النبي ﷺ في صلاة التراويح ولم ينكر عليهم، وإنما ترك الخروج إليهم في المرة الثالثة خشية أن يفرض قيام رمضان على الناس، وعليه فوصف جمع عمر بن الخطاب ﷺ بأنه بدعة حسنة معناه أنه أمر جديد مستحسن لا أنه من الابتداع في الدين.

أسباب ظهور البدع :

إذا كان الاعتصام بالكتاب والسنة سبب النجاة من البدع والافتراق؛ فإن الإعراض عن الكتاب والسنة أعظم سبب للوقوع في البدعة والافتراق، قال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٣ فمن ترك الكتاب السنة؛ فإنه سيتبع السبل لا محالة، فعن ابن مسعود ﷺ، قال: « خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما, قال: ثم خط عن يمينه

وشماله، ثم قال : هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ الأنعام: ١٥٣»[1].

ثم إن الإعراض عن الكتاب والسنة له أسباب، منها:

. الجهل بأحكام الدين: فعن عبدالله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما، اتخذ الناس رؤوسًا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[2] فإذا مات العلماء لم يوجد في الناس من يعلمهم ويدفع الضلال عنهم؛ فدخلت عليهم الفتن والضلالات من كل جانب.

. اتباع الهوى: فمن أعرض عن الكتاب والسنة فسيتبع هواه لا محالة، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾القصص: ٥٠ ، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾النجم: ٢٣

. التعصب للآراء والأشخاص: قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾البقرة: ١٧٠ ، ومن ذلك معارضة الكتاب والسنة بقول فلان أو فلان، أو بما عليه شيخ الطريقة، أو أعراف الناس.

. التشبه بالكفار وتقليدهم والتلقي عنهم: وهذا من أخطر الأسباب؛ لأنه قد يؤثر في الشخص وهو لا يشعر، ويحصل هذا بسبب كثرة المخالطة مع قلة العلم، أو بسبب التساهل، فعن أبي واقد الليثي ﷺ : « أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط. فقال النبي ﷺ سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة

1() [مسند الإمام أحمد 4437]

(2) [البخاري 7307، ومسلم 6796 واللفظ له]

من كان قبلكم»[1] ، وكثير من البدع إنما دخلت على المسلمين بسبب مخالطتهم أو قربهم من الكفار، وفي زماننا هذا بسبب انتشار ثقافتهم في بلاد المسلمين عن طريق وسائل الإعلام والسفر، ومن هذه العادات الأعياد البدعية , وإقامة الأنصاب والتماثيل التذكارية، وبدع المآتم، وغيرها.

. الاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة؛ فإن بعض البدع وردت فيها أحاديث لكنها ضعيفة جداً، ومثل هذه الأحاديث لا يجوز الاعتماد عليها.

منهج السلف الصالح في التعامل مع البدع والمبتدعين :

. بيان العلم الصحيح لهم، ورد البدعة عليهم، والإنكار على من يفعلها أو يعتقدها، وهذا كثير من زمان الصحابة . رضي الله عنهم . إلى زماننا، فلا يزال العلماء يؤلفون في التحذير من البدع، وينصون على ذكرها، ويردون على شبه المتمسكين بها، وقد رأى عبد الله ابن مسعود ﷺ حلقا في المسجد ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل, وفي أيديهم حصى , فيقول : كبروا مائة فيكبرون مائة , فيقول : هللوا مائة فيهللون مائة , فيقول : سبحوا مائة ، فيسبحون مائة. فقال لهم ﷺ: عدوا سيئاتكم , فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ، ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر , والذي نفسي بيده ، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحو باب ضلالة[2].

. التفريق بين البدعة ومرتكب البدعة: فليس كل من وقع في بدعة يوصف بأنه مبتدع، والمبتدعة ليسوا سواء في فحش البدعة، وهم مختلفون , فمنهم المجتهد المتحري للصواب، ومنهم من بدعته خفية دقيقة بحيث لو تفطن لها لتركها، ومنهم المعاند المكابر المتبع لهواه.

والبدعة . مع قبحها وفحشها . تكون صغيرة بالنسبة لما هو أكبر منها بشرط:

1. أن لا يداوم عليها، كما هو الحال في صغائر الذنوب.
2. أن لا يدعو غيره إلى فعلها.

(1) [الترمذي ٢١٨٠، وقال: حسن صحيح]

2() [الدارمي في المقدمة: باب في كراهية أخذ الرأي رقم 204]

3. أن لا يجاهر بها.

4. أن لا يستصغرها ويستهين بها؛ فإن استسهال الذنوب يصيرها كبيرة.

وإجمالا فأهل السنة يحذرون من البدع والافتراق، ويردون على أهل البدع بدعهم بذكر البدعة ورد الشبهة بالأدلة من الكتاب والسنة.

الآثار السيئة للبدع:

. تستلزم القدح في كمال الدين الذي هو صريح القرآن الكريم.

. سبب لهجر السنة، وتقدح في ركن من أركان العبادة ألا وهو المتابعة للرسول ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٦٣ ؛ ولذا قد يوجد في المبتدعة بغض للسنة وللمتمسكين بها، وهذا يختلف بحسب قرب البدعة وبعدها عن السنة.

. البدعة تدعو إلى غيرها من البدع، وهي سبب للوقوع في الفتنة، وقد قرر العلماء أن البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة.

. تفسد المجتمع المسلم حيث يرى الحسن قبيحا والقبيح حسنا، ولا يميز بين الحق والباطل؛ لأنه صار يتلقى دينه من مصادر أخرى غير الكتاب والسنة.

. المبتدع متعرض للعن، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال فيمن أحدث في المدينة: « من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»[1].

(1) [البخاري 7306 ومسلم 3323 واللفظ له]

نشاط رقم (1) :

تعاون مع زملائك في حصر البدع المنتشرة في المجتمع, ثم صنفها حسب خطورتها مبيناً أثرها والطرق المناسبة لعلاجها.

البدعة	خطرها			أثرها	علاجها
	1	2	3		

نشاط رقم [2]:

عن ابن مسعود ﷺ، قال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: « هذا سبيل الله مستقيما, قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ الأنعام: ١٥٣ »[1].

تعاون مع زملائك في كتابة الحديث على ورقة كبيرة ووضعها في مكان مناسب داخل المدرسة.

نشاط رقم [3]:

ذكر بعض السلف أنه ما أحدث الناس بدعة إلا هجروا مقابلها سنة من السنن، أورد سناً هجرت في مقابل البدع المذكورة ، على غرار المثال الأول:

(1) [مسند الإمام أحمد 4437]

البدعة	السنة المهجورة المقابلة لها
العمرة في رجب.	العمرة في رمضان.
إحياء ليلة النصف من شعبان.	
الاحتفال بالمولد النبوي.	
زيارة قبور الأولياء للتبرك بها.	
*	

* يضيف الطالب بدعتين ويضع ما يقابلها من السنن المهجورة.

التقويم:

س1: بم يوصف من تمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ؟

س2: لأهل السنة والجماعة أوصاف دلت عليها نصوص الكتاب والسنة, اذكرها.

س3: اذكر منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالف.

س4: ما المراد بالبدعة في الاصطلاح؟

س5: أي أنواع البدعة أكثر وقوعاً بين الناس, ولماذا ؟

س6: بين ما يلي:

أ. أعظم سبب للابتعاد عن البدع والافتراق.
ب. أعظم سبب للوقوع في البدع والافتراق.
ت. أثر الجهل بأحكام الدين على السنة.
ث. أثر مخالطة الكفار في انتشار البدع.

س7: بين المنهج الصحيح في التعامل مع البدع؟

س8: ما آثار البدع؟

س9: أكمل الفراغات الآتية:

أ. البدعة خا صة بأمور ..... أما أمور الدنيا فلا يدخلها .....
ب. من أمثلة البدع المكفرة .....
ت. البناء على القبور مثال للبدع التي هي وسيلة للوقوع في .....
ث. التمسك والاعتصام بـ ..... سبب للنجاة من البدع.
ج. التشبه بالكفار وتقليدهم سبب من أسباب الوقوع في.....

الوحدة الرابعة عشرة

تعلق القلب بغير الله

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن:

- يدرك خطر التعلق بغير الله.
- يستنبط بعض أسباب التعلق بغير الله.
- يستنبط وجه ضعف تعلق الناس بالله من بعض الأمثلة والتطبيقات .
- يبين صور التعلق بغير الله المخرجة من الإسلام.
- يبين صور التعلق بغير الله القادحة في كمال التوحيد.

مدخل :

عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله, وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1] ، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» وفي رواية «وأعمالكم»[2].

فهذان الحديثان يظهران أثر القلب، فعلى العبد أن يفتش في قلبه كيف هو مع الله تعالى، وكيف يحب أن يجد الله قلبه إذا نظر إليه .

وصلاح القلب يقوم على ركنين: الركن الأول تغذيته بالمعارف الصحيحة، وهو ما تقدم مفصلا في أركان الإيمان، ومراقبة الله في السر والعلن، والقيام بعبوديات القلب لله تعالى , والركن الثاني: معرفة مظاهر التعلق بغير الله تعالى ليحذر منها، ويعالج ما قد يكون في قلبه منها.

وفيما يلي عرض لأهم مظاهر التعلق بغير الله تعالى وأنواعه.

من أنواع التعلق بغير الله تعالى:

التعلق بغير الله تعالى إما:

- أن يكون بعبادة غير الله . وهذا كفر ..
- أن يكون بفعل شيء قد يكون ذريعة , وسببا بعد ذلك إلى عبادة غير الله ، وأنواعه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها:

التبرك بالأشجار والأحجار والآثار والقبور:

(1) [البخاري 52 ومسلم 1599]
(2) [مسلم 6542 – 6543]

وسبب هذا أن الشخص يعتقد وجود البركة في هذه الأشياء، فيتمسح بها ويلامسها؛ لينتقل إليه شيء من تلك البركة.

وهذا الاعتقاد باطل ؛ لأن البركة لا تثبت في شيء إلا بدليل، وطريقة الانتفاع بما ثبتت بركته يكون بالطريقة التي وردت في الشرع كذلك، فقد بارك الله في المسجد الحرام استجابة لدعوة إبرهيم عليه السلام، وبركته بتضعيف الحسنات فيه، وسعة أرزاق أهله، وماء زمزم ماء مبارك، وبركته تكون بكثرة شربه، ودعاء الله قبل شربه من خيري الدنيا والآخرة، وقيامه مقام الطعام والشراب، لكن هذه البركة لا تعني أن يتمسح الشخص بأحجار الحرم وأشجاره، أو أن يعتقد أنها تنفع أو تضر بذاتها؛ فإن هذا من الشرك، والبركة إنما كانت فيها بإرادة الله – تعالى –.

وأما التبرك بالنبي ﷺ فقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – يتبركون بآثاره وبريقه وشعراته وفضلة وضوئه ومس بشرته، وعرقه، وأعظم من ذلك بركةً ما نالهم من شرف صحبته والاهتداء بهديه وإخراجهم به من الظلمات إلى النور، لكن لم يثبت عن أحد منهم أنه تبرك بأحد من الناس بعده، ، كما لم يثبت عن أحد من التابعين أنه تبرك بآثار أحد من الصحابة . رضي الله عنهم . وهم أفضل الناس بعد الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ، فدل على أن التبرك بآثار النبي ﷺ خاص به لا يتعداه إلى من بعده , بل حذر النبي ﷺ من التبرك وأنكر على المشركين تبركهم بالأصنام والأشجار لأنه في حقيقته عبادة لها ففي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط , فقال النبي ﷺ سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم »[1].

تقديم القرابين والنذور لغير الله:

وهو شرك أكبر؛ لأنه من صرف العبادة لغير الله تعالى، والدليل على كون الذبح والنذر عبادة قول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ

(1) [الترمذي٢١٨٠، وقال: حسن صحيح]

بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾الحج: ٣٤ وقوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾الإنسان: ٧ , وصورة النذر أن يقول الرجل مثلا: إذا شفى الله مريضي؛ فلله علي التصدق بألف؛ فالناذر يفعل مثل هذا ؛ ليشفي الله مريضه؛ لأنه القادر على ذلك، فصرفه الجهال إلى غير الله تعالى من الجن والموتى.

ملحوظة: النذر مكروه في الشرع ؛ لأن الناذر بخل بفعل الطاعة حيث علق فعل الخير بما يتمنى حصوله من الله تعالى، لكن من وقع منه النذر فيجب عليه الوفاء به، فعن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد النبي صلى الله عليه و سلم أن ينحر إبلا ببوانة1 فأتى النبي ﷺ فقال إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة , فقال النبي صلى الله عليه و سلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ " قالوا: لا قال: " هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ " قالوا لا قال النبي صلى الله عليه و سلم " أوف بنذرك " فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم "2 .

ووقوع مثل هذه المخالفات الشرعية تدل على أهمية سد ذرائع الشرك، وعدم التساهل في شأن القبور ومخالفة هدي النبي ﷺ في صفتها وأحكامها؛ لأنها من أعظم مداخل الشيطان التي تؤدي إلى نقض التوحيد من أصله، ومن قارن بين هدي النبي ﷺ في القبور, وبين ما يخالفه عرف قبح ما وقع فيه الجهال.

التعلق بالصالحين:

قد يكون التعلق بهم في حياتهم بطاعتهم طاعة مطلقة وإن خالفت الشرع، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا

(1) بوانة: هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر.

(2) أخرجه أبو داود برقم (3313) وصححه الألباني .

﴿ يُشۡرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ ، وقد ورد في معنى الآية أن معنى عبادتهم أنهم كانوا يحلون لهم الحرام, ويحرمون لهم الحلال, فيتبعونهم على ذلك، فجعل طاعتهم في مخالفة الشريعة عبادة لهم من دون الله، ومن ذلك متابعة أئمة الضلال فيما يحدثونه من مخالفات الشريعة, وأنواع البدع والضلالات، وهذا من الشرك ؛ قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ الشورى: ٢١.

وقد يكون التعلق بالصالحين بعد موتهم بدعوى أنه لهم منزلة عند الله تقتضي التعلق بهم.

والناس يختلفون في هذا التعلق ومن صور ذلك:

. سؤال الله تعالى بجاههم عنده قضاء الحاجات، وهذا لا يجوز ؛ لأنه لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ، والدعاء عبادة يتوقف فيها على ما ورد، وإنما الوارد أن يسأل العبد ربه ويدعوه بأسمائه وصفاته، أو بعمله الصالح أن يقضي حوائجه، وكل ما ورد في الحث على سؤال الله تعالى بجاه النبي ﷺ ؛ فهو حديث مكذوب عند أهل العلم، وإذا كان هذا في حق سيد الخلق ﷺ ؛ فكيف بمن هو دونه في المنزلة ؟!

. التوجه للأموات بأن يطلب منهم أن يشفعوا له عند الله – تعالى –، وهذا أيضا لا يجوز، ولو كان جائزاً لفعله الصحابة – رضي الله عنهم – مع النبي ﷺ بعد موته وقبره بين ظهرانيهم كما كانوا يطلبون منه الدعاء وهو حي بينهم ﷺ؛ فعلم من هذا أن مثل هذا العمل لا يجوز، ولما وقع الجدب خرج عمر بن الخطاب ﷺ بالناس للاستسقاء وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا [يعني نطلب منه الاستسقاء وهو حي فيستسقي لهم فيسقون]، وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون»[1]. والمعنى أن العباس يستسقي لهم فيسقون، ولو كان طلب الدعاء جائزا من الأموات لطلبوه من النبي ﷺ بعد موته كما كانوا يطلبونه منه ﷺ, وهو حي.

(1) [البخاري 3710 وهو من أفراده على مسلم]

. الاستغاثة بهم بأن يناديهم ويطلب منهم أن ينقذوه أو يكشفوا كربته, وهم أموات في قبورهم , وهذا شرك أكبر؛ لأن الاستغاثة دعاء والدعاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك أكبر، وقد قال النبي ﷺ لابن عباس ﷺ « يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[1].

التعلق بالسحرة والمشعوذين والعرافين والمنجمين :

من المقرر أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾النمل: ٦٥ ، وقال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ ﴾الجن: ٢٦ - ٢٧ ، فقد يطلع الله تعالى بعض رسله على شيء من الغيب لما في ذلك من الإعجاز للمدعوين، وهذا يقتضي أن غير الرسل لا يعلمون شيئا من الغيب، ولا يطلعهم الله عليه، فمن ادعى علم شيء من الغيب فهو كاذب مفتري على الله تعالى، والذين يدّعون علم الغيب أنواع منهم السحرة والكهان والمنجمون، وقراء الكف والفنجان، ونحوهم, وكل هذا من الكفر بالله تعالى، وفيما يلي تعريف ببعضه:

أولاً: السحر :

معنى السحر: أقوال وأفعال يتقرب الساحر بها إلى الجن , ويستعين فيها بالشياطين للتأثير في المسحور.

حقيقة السحر:

السحر موجود حقيقة , وقد ذكر الله تعالى أن منه ما يكون للتفريق بين الزوجين، ومنه ما يكون تخييلا لا حقيقة له كعصي سحرة فرعون، وأيا كان نوع السحر , فإنه لا يضر إلا بإذن الله تعالى كما قال – جل وعلا –: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا

(1) [الترمذي 2516 وقال: حسن صحيح]

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾البقرة: ١٠٢

وللسحر أنواع، ويدخل فيه النظر في النجوم والاستدلال بها على ما يكون في الأرض لما فيه من ادعاء علم الغيب، وزعم أن لها تأثيراً، ومنه الكهانة والعرافة, وهما من ادعاء علم الغيب.

حكم السحر: السحر كفر بالله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾ البقرة: ١٠٢ , ويستوي في حكم السحر تعلمه, وتعليمه والعمل به والرضا به.

طريقة علاج السحر: تكون بالرقية الشرعية؛ من القرآن والسنة والأدعية، وأما فكه بالسحر فهو محرم؛ لأنه فك لمحرم بمحرم، والله – جل وعلا – لم يجعل شفاءنا فيما حرم علينا، كما أن فيه إعانة للكفر بالله تعالى، والواجب على المسلم محاربة السحرة للتخلص من شرهم.

ثانياً: الكهانة والعرافة ونحوهما

وحقيقتها على اختلاف أسمائها ادعاء علم الغيب من الأمور المستقبلية, أو ما خفي من الأمور الماضية كمعرفة مكان شيء مفقود بالنظر في النجوم, أو باستخدام الشياطين والتقرب إليهم بطاعتهم فيما يأمرون به.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ، وقال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣ ، وعن أبي هريرة ﷺ أن نبي الله ﷺ قال في حديث الوحي: فيسمعها مسترق السمع، ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق

بعض , فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته , ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر , أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها , وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[1] .

ثالثا: التنجيم :

وحقيقته دعوى أن للنجوم تأثيراً في ما يقع على الأرض من تقلب الأحوال، ونزول الأمطار والخصب والجدب، ومزاج الإنسان، وما يقع عليه من أفراح وأحزان ورزق ومصائب وزواج وولد، وحياة وموت، وذلك بأن ينظر المنجم في النجوم ثم يخبر بما يزعم أنه سيقع في المستقبل على الأرض , أو على شخص بعينه، ومنه ما يعرف في زماننا بالأبراج، ويوجد في بعض المجلات.

حكم التنجيم:

. إذا اعتقد نسبة التأثير للنجوم، فقد جعلها خالقة من دون الله، متصرفة في الكون بإرادتها ومشيئتها , وهذا شرك أكبر؛ لأن النجوم من خلق الله تعالى تجري بأمره، خلقها لحكم ذكرها في كتابه، وهي كونها رجوما للشياطين الذين يسترقون السمع، وزينة للسماء، وعلامات يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾الأنعام: ٩٧ ، أي يعرف بها الوقت والجهات، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ ﴾الصافات: ٦ -٧فمن ادعى فيها غير ذلك فقد كذب.

(1) [البخاري 4800 وهو من أفراده على مسلم، ومعنى الحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها]

. إن لم يعتقد أنها تؤثر بنفسها لكنه يزعم أنه يستدل بحركتها على ما سيقع؛ فهو شرك كذلك ؛ لأن فيه ادعاء للغيب، وقد نفاه الله تعالى. وقال النبي ﷺ: «من اقتبس علما من النجوم؛ اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[1].

حكم الذهاب للكهان والعرافين والمنجمين:

مما سبق يتبين أنه لا يجوز الذهاب لهم، ومن صدقهم فقد كفر، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « من أتى كاهنا أو عرافا, فصدقه بما يقول, فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[2] وقال ﷺ : « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما»[3] .

مما سبق : كيف يتحرز المؤمن من شر السحر والكهنة والعرافين ؟

.....

.....

رابعاً: الرقى والتمائم ولبس التعاويذ :

الرقى: كلام يقال على المصاب طلبا للشفاء، وهي معروفة قبل الإسلام.

حكمها: يختلف حكمها بحسب الكلام الذي يقال فيها، وما يعتقده الراقي، والجائز منها ما توفرت فيه شروط هي:

. أن تكون من الكتاب والسنة، أو بأسماء الله وصفاته، أو الأدعية الصحيحة.

. أن تكون بلغة يعرفها الراقي كاللغة العربية، وأن يكون الكلام مفهوم المعنى.

. أن يعتقد كل من الراقي والمرقي أنها لا تؤثر بذاتها وإنما بإذن الله – عز وجل –.

(1) [أبوداود 3905 وابن ماجه 3726 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما].

(2) [أحمد 9536، واللفظ له، وأبوداود 3904]

(3) البخاري 5821 من حديث صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ . وهو من زوائده على مسلم

ودليل جوازها: أن النبي ﷺ قد رقاه جبريل عليه السلام، ورقى هو أصحابه – رضي الله عنهم ، – وأقرهم عليها –، وأمرهم بها، وأحل أخذ الأجرة عليها, فعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال: «اعرضوا علي رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[1].

طريقة الرقية: إما أن يقرأ عليه ثم ينفث عليه، أو يقرأ في ماء ويسقيه المريض، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول في الرقية: بسم الله، تربة أرضنا وريقة بعضنا يُشْفَى سقيمنا بإذن ربنا»[2].

وأما الرقى الممنوعة فهي:

. ما كان فيها شرك من استعانة بغير الله تعالى أو دعاء له؛ من الأموات أو الشياطين.

. أن تكون بلسان غير معروف، أو بكلام معروف في أصله لكنه غير مفهوم المعنى، فمثل هذه الرقى لا تجوز خشية أن يكون فيها محذور شرعي.

التمائم :

وهي جمع تميمة، وهي ما يعلق في العنق , أو اليد , أو توضع في البيت , أو المركب؛ لدفع ما يؤذي من عدو, أو عين, أو حسد, أو غير ذلك، أو تكون لجلب الحظ.

حكمها: إذا كانت من غير القرآن الكريم والأدعية والأذكار الصحيحة؛ فهي شرك، فعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الرقى والتمائم والتولة شرك» قالت امرأة ابن مسعود له: لقد كانت عيني تقذف، فكنت اختلف إلى فلان اليهودي يرقيني، فإذا رقاني سكنت , فقال عبدالله: إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها[3].

(1) [مسلم 5732 وهو من أفراده على البخاري]
(2) [البخاري 5746، واللفظ له، ومسلم 5719]
(3) [أبوداود 3883 وابن ماجه 3530)

وأما إن كانت تشتمل على آيات قرآنية وأدعية صحيحة، فقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في جوازها، والأكثر على منعها, والأولى بالمسلم اجتنابها؛ لأنها تشتبه بالتمائم الشركية، وقد تتسبب في الوقوع في التمائم الشركية بعد ذلك، كما أن تعليقها يؤدي إلى امتهان الآيات وأسماء الله الحسنى , لكن على القول بجوازها فيلزم المسلم المحافظة عليها واعتقاد أنها سبب لا ينفع ولا يضر بذاته وإنما النفع والضر بيد الله وحده، فإن اعتقد فيها النفع والضر بذاتها؛ فيكون قد وقع في الشرك الأصغر.

التعاويذ: وهي مايوضع من الحلقة أو الخيط أو الحذاء ونحو ذلك لرفع البلاء أو دفعه.

ففي حديث عمران بن حصين ﷺ: « أن رسول الله ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه الحلقة ؟ قال: هذه من الواهنة. قال: انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلى وهنا»[1] زاد في المسند «فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا »[2].

ومثل هذا الفعل إن اعتقد أنه سبب لدفع البلاء بإذن الله فهو شرك أصغر؛ لأنها ليست سببا صحيحا , واعتقاد هذا اعتقاد فاسد، وأما إن اعتقد أنه يدفع البلاء بنفسه فهو شرك أكبر؛ لأنه نسب شيئا من التصرف في ملكوت الله إلى مخلوق ضعيف.

خامساً: التطير :

معناه: أن يقدم الشخص على فعل شيء أو تركه بسبب شيء رآه أو كلمة سمعها ، وسمي هذا الفعل تطيراً؛ لأن الرجل في الجاهلية كان إذا طار الطائر عن يمينه تفاءل بذلك وأقدم على الفعل، وإذا طار عن يساره تشاءم بذلك وترك الفعل؛ فسمي تطيراً نسبة إلى الطير.

حكمه: هو من الشرك لحديث عبدالله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الطيرة شرك, الطيرة شرك , الطيرة شرك»[3] ، وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ أنه سأل الرسول ﷺ: ومنا

(1) [ابن ماجه 3531]

(2) [المسند 20000 والحديث مختلف في صحته لكن تشهد له عمومات الأحاديث الأخرى]

(3) [أبوداود 3910، واللفظ له، والترمذي 1614]

أناس يتطيرون؟ قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم»[1] ، وهو من أفعال المشركين كانوا يتطيرون بالنبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾النساء: ٧٨ ، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة»[2].

وسبب كون التطير من الشرك أن فيه نسبة النفع والضر إلى غير الله تعالى، فإن المتطير يدخل قلبه هم وكراهية للفعل؛ فيتركه، فعلى المسلم أن لا يلتفت بقلبه إلى مثل هذا ويدفعه، ويقدم على الفعل الذي عزم عليه مستعينا ومتوكلا على الله تعالى، وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: « من ردته الطيرة عن حاجته, فقد أشرك, قالوا: فما كفارة ذلك ؟ قال: «أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»[3] .

تنبيه: على المسلم إذا أراد فعل شيء أن يهتدي بهدي النبي ﷺ بالحرص على ما ينفعه والاستشارة والاستخارة , ثم الاستعانة بالله – تعالى – والتوكل عليه عند الفعل، وعليه بالفأل, وهو الكلمة الطيبة يسمعها , فيستبشر بها على نجاح ما أراد من باب حسن الظن بالله تعالى لا من باب أن الكلمة هي سبب نجاحه.

مما سبق : مالفرق بين التطير والفأل:

التطير	الفأل

(1) [مسلم 537]

(2) [البخاري 5756 ومسلم 5800 واللفظ له]

(3) مسند الإمام أحمد 7045

– التوكل على غير الله تعالى والتعلق بالأسباب :

تعريف التوكل، وبيان منزلته.

التوكل لغة: الاعتماد، تقول: وكلت أمري إلى فلان أي اعتمدت عليه فيه.

وشرعا: صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار.

منزلته: من أعلى مراتب العبادة قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣ ، فجعل التوكل على الله تعالى شرطً في الإيمان، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢ فوصف المؤمنين بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان, وهي: الخوف وزيادة الإيمان والتوكل على الله تعالى وحده , وقال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ المزمل: ٩ ، وقال: ﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾الطلاق: ٣ ؛ ولذا فكلما زاد وقوي التوكل قوي إيمان العبد.

وحقيقة التوكل أن يفعل الإنسان أقصى ما يستطيع من الأسباب المادية لتحقيق مراده من جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ثم هو لا يعتمد عليها, ويعلم أنها مجرد أسباب قد تنجح, وقد لا تنجح, فيتعلق قلبه بالله تعالى خالق الأسباب , والذي بيده ملكوت كل شيء، فيتعلق القلب بالله لا بالأسباب.

وعليه فليس من التوكل: الاعتماد بالقلب دون بذل الأسباب؛ لأن هذا شأن الكسالى وضعاف العقول قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾الجمعة: ١٠ ,وليس منه بذل الأسباب

والاعتماد عليها؛ لأن الأسباب مخلوقة مثله إن شاء الله تعالى تعطيلها تعطلت ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾الأنبياء: ٦٩ ، وكم من أرض أمطرت فلم تنبت، وكم من شخص بذل جميع ما يستطيع من التحصن ضد المرض فأصيب، أو استعد لسفر فخاب سفره، ومثل هذا كثير.

أولاً: الشرك في التوكل :

أي التوكل على غير الله تعالى، وهو وهو نوعان:

1. التوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شرك أكبر؛ لأن حقيقته التسوية بين المخلوق والخالق.

2. التوكل على المخلوق في شيء يقدر عليه شرك أصغر، وما تعلق أحد بمخلوق وتوكل عليه إلا خاب ظنه فيه.

ثانياً: الاعتماد على الأسباب المادية:

وهذا الاعتماد قادح في التوكل؛ لأن حقيقة التوكل بذل الأسباب دون الاعتماد عليها.

وسبب التعلق بالأسباب الجهل بالله تعالى, وغلبة النظرة المادية على كثير من الناس، بحيث إن مدار رغباتهم وفرحهم وحزنهم ما يحصلونه, أو يفوتهم من متاع الحياة الدنيا، فهي مقياس الربح والخسارة.

ومن آثار التعلق بغير الله تعالى وقوع العبد في أنواع من ضعف الإيمان مثل انصراف القلب إلى غير الله تعالى، وعبودية القلب للأسباب المادية، ونسبة الأفعال إلى الأسباب وحدها، فالشفاء بسبب جودة الدواء، والمرض بسبب ضعف المناعة، وسرعة الإنجاز بسبب جودة الصناعة، والفشل بسبب عدم توفر جميع الإمكانات المادية، وهكذا , كما أن التعلق بالأسباب يصاحبه عادة تهاونا في العبادات، وضعفا في العمل للدار الآخرة، وقسوة في القلب، وجمودا في العين ,

ومن قرأ كتاب الله تعالى عرف أين هذا من أخلاق المتقين الذين علموا حقيقة الدنيا وأن من ورائها حياة أبدية تستحق أن يعملوا لها قال تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾الإسراء: ١٨ - ١٩ ، وعلموا أن الدنيا دار ابتلاء واختبار, كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾الكهف: ٧ ، فاختلف حالهم عن حال عامة الناس كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٢ فعاشوا حياة طيبة لا يكدرها نكد الحياة ومصائبها، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾الرعد: ٢٨ - ٢٩ ، وهم في كل أحوالهم في عبادة لله تعالى, قال رسول الله ﷺ: « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[1].

أسباب التعلق بغير الله :

من خلال ما سبق يمكن أن نستخلص أسباب التعلق بغير الله تعالى، ومن ذلك:

- الجهل بالله تعالى.
- ضعف الإيمان، ومنه ضعف التعلق بالله تعالى.
- طغيان الحياة المادية.
- ضعف مراقبة النفس , ومجاهدتها على الاستقامة على الدين.

(1) [مسلم 7500 من حديث صهيب الرومي ﷺ وهو من أفراده على البخاري].

- المبالغة في حب الصالحين والتعلق بهم حتى تخرج إلى ما لا يجوز من الطاعة المطلقة والتسليم الكامل.
- المخالفات الشرعية المتعلقة بالقبور.

نشاط رقم [1]:

احصر صور التبرك الموجودة في المجتمع, مع بيان بطلانها و خطرها على العقيدة.

.....

.....

.....

.....

.....

نشاط رقم [2]:

من أسباب التعلق بالأموات مخالفة هدي النبي ﷺ في القبور ، في الجدول الآتي ذكر لسنته ﷺ في القبور ، أورد الصور المخالفة لها مما يفعله الناس:

هدي النبي ﷺ في القبور	ما يخالفه مما وقع في الأمة
أمر ﷺ بتسويتها، ونهى عن البناء عليها.	رفعت وبنيت عليها القباب العالية.
نهى ﷺ عن الصلاة عندها واتخاذها مساجد.	
نهى ﷺ أن تتخذ مساجد.	
نهى ﷺ عن إيقاد السرج عليها.	
نهى ﷺأن يتخذ قبره عيداً.	
أمر ﷺ بزيارة القبور للدعاء للميت وتذكر الآخرة.	

نشاط رقم [3]:

كيف تبين من خلال الآيات التالية بطلان دعاء غير الله.

أ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ الإسراء: ٥٦

ب. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٤

ت. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ الأعراف: ١٩٧

ث. قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤

.....

.....

.....

.....

.....

.....

نشاط رقم [4]:

أكمل الجدول الآتي:

من التمائم التي يتخذها الناس	الهدف من تعليقها

التقويم:

س1: صلاح القلب يقوم على أسس وأركان, اذكرها.

س2: متى يكون التبرك جائزاً؟

س3: إذا علمت بركة المسجد الحرام, فما حكم التبرك بالأشجار والأحجار الموجودة فيه؟

س4: ما حكم التبرك بالنبي ﷺ .

س5: للصحابة ﷺ فضل الصحبة, ومنزلتهم عند الله عالية, فهل يجوز التبرك بأحدٍ منهم؟

س6: من خلال ما درست بين بالأدلة بطلان التوجه للأموات بطلب دعاء أو غيره.

س7: ما الدليل على كفر الساحر, ولماذا يعتبر كافراً, وما عقوبته في الدنيا؟

س8: ما حكم الذهاب للكهان والعرافين والمنجمين, مع الدليل؟

س9: ما حكم من ردته الطيرة عن حاجته, وما كفارته ؟

س10: بين الهدي النبوي إذا رأى الإنسان ما يكره.

س11: قارن بين الرقى المشروعة وغير المشروعة من خلال الجدول الآتي:

الرقية الشرعية	الرقية الممنوعة

س12: ما العلاقة بين:

الفقرة	العلاقة
التوكل والإيمان بالله.	

التوكل وفعل الأسباب.	

س13: أكمل الفراغات الآتية:

أ. من الآثار المترتبة على التعلق بالأسباب دون التوكل على الله:

1. .....

2. .....

ب. من صور النذر الموصل للشرك:

3. .....

س14:علل لما يلي:

أ. تبرك بعض الناس بالأشجار والأحجار والآثار والقبور.

ب. النذر والذبح لغير الله يعد شركاً أكبر.

ت. يعد التطير نوع من أنواع الشرك.

الوحدة الخامسة عشرة

الشرك الأكبر

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن

- يدرك مفهوم الشرك.
- يتعرّف الشرك الأكبر.
- يقدّر خطره .
- يتعرّف وسائل الشرك .
- يعدد صوراً من الشركيات الموجودة في المجتمع ويحذر منها .

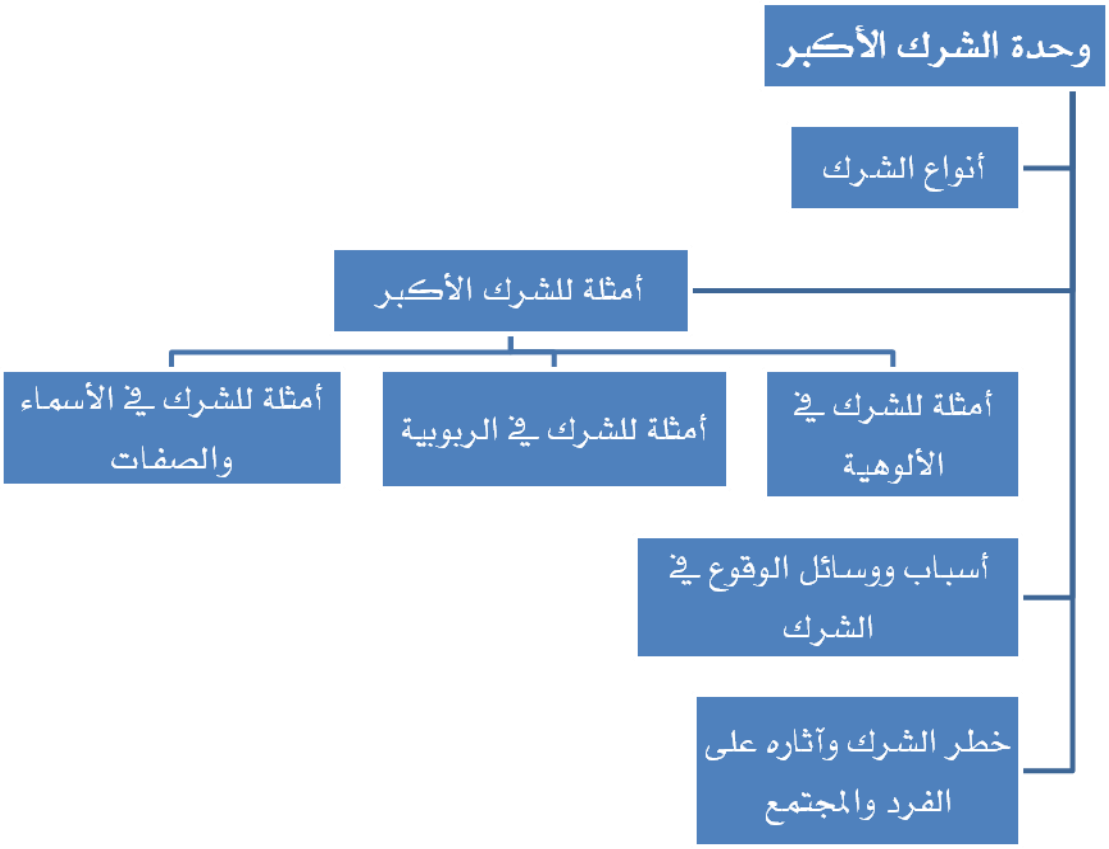

مدخل

ما أعظم ذنب عصي الله به؟

ما الذنب الذي لا يغفر الله لصاحبه إلا أن يتوب منه ؟

إنه الشرك بالله المخالف لحكمة الخلق ، فما الشرك؟ وما أنواعه؟ وما أسبابه؟

معنى الشرك :

مساواة غير الله بالله في ربوبيته أو إلهيته أو أسمائه وصفاته.

أنواع الشرك :

الشرك نوعان:

شرك أكبر وهو: صرف شيء من خصائص الربوبية, أو الألوهية, أو الأسماء والصفات لغير الله تعالى.

وهو ناقض من نواقض الإسلام ؛ لأنه يخالف أصل التوحيد الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

والنوع الثاني الشرك الأصغر , وسيأتي ذكره في الوحدة القادمة.

أمثلة للشرك الأكبر:

أمثلة الشرك كثيرة، ونذكر هنا بعض أمثلته مفصلة بحسب أنواع التوحيد الثلاثة:

أمثلة من الشرك في توحيد الربوبية:

. اعتقاد المجوس وجود خالقين , وهما النور والظلام.

. اعتقاد أن الأولياء والأموات يتصرفون في الكون بقضاء حاجات من يدعونهم من دون الله.

. اعتقاد أن النجوم هي السبب في نزول المطر، ولها تأثير في طبائع الناس وما يقع عليهم من خير أو شر.

أمثلة من الشرك في توحيد الألوهية:

. اعتقاد أن أحداً من الخلق يستحق شيئا من العبادة.

. صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى، مثل:

- دعاء غير الله تعالى، أو سؤال غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله.
- تقديم النذور والذبائح للأموات والجن.
- السجود للقبر، أو الحج إليه والطواف به.
- الخوف والرجاء المقرونين بالتعظيم والخضوع من غير الله.

أمثلة من الشرك في توحيد الأسماء والصفات:

. ادعاء أن أحداً يعلم الغيب غير الله تعالى من الأولياء , أو الأموات , أو الجن أو السحرة والكهان الغيب، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1]ومن ذلك قراءة الفنجان, والكف, أو النظر في النجوم , وادعاء أنه يعرف بذلك ما سيقع في المستقبل من خير أو مصائب.

. نسبة صفات الله – تعالى – التي اختص بها أو بعضها لأحد من المخلوقات كاعتقاد أن الأولياء يتصرفون في الكون، أو يسمعون الغائب، أو بيدهم أن يرزقوا أحداً أو يشفوه أو يمرضوه ؛ والله – جل وعلا – جعل من آيات عيسى عليه السلام أنه يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص لكن كل ذلك مقيد بقوله (بإذن الله).

أسباب ووسائل الوقوع في الشرك :

1. الغلو في الصالحين: فعن ابن عباس ﷺ، قال: قال ﷺ «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[2] ، وأول ما ظهر الشرك في بني آدم كان بسبب الغلو في الصالحين، وذلك أن الأصنام التي كان يعبدها قوم نوح عليه السلام كانت «أسماء رجال صالحين

(1) [أحمد 9536، واللفظ له، وأبوداود 3904]
(2) [ابن ماجه 3029]

من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عُبدت»[1].

2. رفع القبور، أو البناء على القبور، أو اتخاذها مساجد:

ولخطورة هذا الأمر جاء النهي الشديد عن هذه الأشياء الثلاثة، فعن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته »[2] ، وعن جندب بن عبدالله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « .. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[3] ، وقال أيضا في مرض موته ﷺ: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[4] ، كما لا يجوز جعلها مكانا للصلاة ولو كان دون بناء لقوله ﷺ « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[5].

3. الهوى واتباع الشهوات، فإن التوحيد يلزم من اتباع الشريعة، والشريعة فيها تهذيب وتقييد لسلوك الإنسان من أن ينجرف وراء الشهوات، والشرك بخلاف ذلك، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴾ إبراهيم: ٣

خطر الشرك وآثاره على الفرد والمجتمع :

1. هو أعظم الذنوب، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ لقمان: ١٣ ، لأنه تسوية للمخلوق بالخالق سبحانه وتعالى، ولا يكفّره إلا التوبة منه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن

(1) [البخاري 4920 من قول ابن عباس ﷺ].
(2) [مسلم 2243 وهو من أفراده على البخاري]
(3) [مسلم 1188 من حديث جندب ﷺ وهو من أفراده على البخاري]
(4) [البخاري 435 ومسلم 1184، من حديث عائشة رضي الله عنها، واللفظ له]
(5) [مسلم 2250 من حديث أبي مرثد الغنوي ﷺ]

يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٤٨ ، ومن أشرك فقد حبط عمله قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأنعام: ٨٨ ، والمشرك حرام عليه الجنة قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ المائدة: ٧٢

2. انتكاسة في الفطرة؛ لأنه ينقل العبد من عبودية الله تعالى إلى عبودية مخلوق مثله لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً، فإذا انحطت نفس العبد إلى هذا المستوى . وطبيعته الظلم والجهل . فكل آفة وجريمة يمكن أن تقع منه، ولم يحكم المجتمع إلا قانون المصلحة والقوة.

3. النفس المؤمنة تتطلع دائما إلى رضا الله تعالى، وتسمو إلى الطهارة والقيم العالية، وفي مقابلها النفس الكافرة تطلعها إلى شهواتها ومصالحها الدنيوية، وحينئذ يكون أقرب شيء يشبه حياتهم حياة البهائم كما قال تعالى: ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ الفرقان: ٤٤

4. تمزق النفس واضطرابها، فلا تجد راحة أو طمأنينة؛ لأنه لا طمأنينة للقلب إلا بذكر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨ ، وأما الكافر فحاله كما قال تعالى: (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)[الحج 31]

سبل الوقاية من الشرك

1. مراقبة النفس، ومذاكرة مسائل الاعتقاد وما يقدح فيه؛ ليكون المسلم على حذر دائم.
2. معرفة مداخل الشيطان على الأمم السابقة، وكيف دخلها الشرك، ودعوة أنبيائهم لهم إلى التوحيد الخالص.
3. استشعار فضل التوحيد وما أعده الله لمن استكمل التوحيد من الدرجات العالية، وعاقبة الشرك في الدنيا من ضيق النفس ونكد الحياة، وفي الآخرة من العذاب الأليم.

4. التذكير الدائم بعظمة الله تعالى، والتفكر في آياته وقدرته؛ ليقر في القلب تعظيمه والاستسلام له – جل وعلا –.

5. ذكر الله الدائم بالقلب واللسان والجوارح؛ لأن من أخطر الأمراض التي يدخل معها الشيطان داء الغفلة.

6. الحذر من وسائل الشرك التي نهى عنها النبي ﷺ من الغلو في الصالحين، وبدع القبور.

7. الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء بالثبات على الدين والسلامة من الشرك كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن المعصوم من عصمه الله تعالى، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» وقال: « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن – عز وجل – كقلب واحد، يُصَرِّفه حيث يشاء»[1].

(1) [مسلم 6750، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو من أفراده على البخاري]

نشاط رقم [1]:

ما أسباب ذهاب الناس إلى الكهان والعرافين, وما أثر ذلك على الفرد والمجتمع ؟

.....

.....

.....

.....

نشاط رقم [2]:

أكمل الجدول الآتي:

م	السؤال	الجواب
1	ما أعظم الذنوب ؟	
2	سبب كونه أعظمها	
3	أثره على الأعمال الصالحة	
4	أثره على الفطرة.	
5	أثره على النفس.	
6	طريقة تكفيره.	
7	حياة صاحبه تشبه حياة.	
8	مصير صاحبه في الآخرة.	

نشاط رقم [3]:

لخص الأحكام التي مرت بك في الدرس مما يتعلق بالقبور.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

التقويم :

س1: ما معنى الشرك؟

س2: علل: يعد الشرك الأكبر ناقضاً من نواقض الإسلام.

س3: ما حكم اتيان الكهان والعرافين؟ وما جزاء من يفعل ذلك ؟

س4: أكمل ما يلي:

أ. من أسباب هلاك الأمم السابقة .....

ب. أول ما ظهر الشرك في بني آدم كان بسبب .....

س5: ما حكم ما يلي مع بيان السبب:

أ. تصوير الصالحين من أجل تذكرهم والدعاء لهم ؟

ب. التمسح والتبرك بالقبور ؟

ت. طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ؟

الوحدة السادسة عشر

الشرك الأصغر

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن

- يعرّف الشرك الأصغر.
- يميّز الشرك يبتعد عن الشرك الأكبر.
- يقارن بين الشرك الأصغر والأكبر .
- يحذر من الشرك ووسائله.
- يستنبط خطر الشرك وآثاره من النصوص والآثار والواقع .
- يبتعد عن الشرك الأصغر ودواعيه .
- يعدد صوراً من الشرك الأصغر ويقارن بينها.
- يقارن بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر

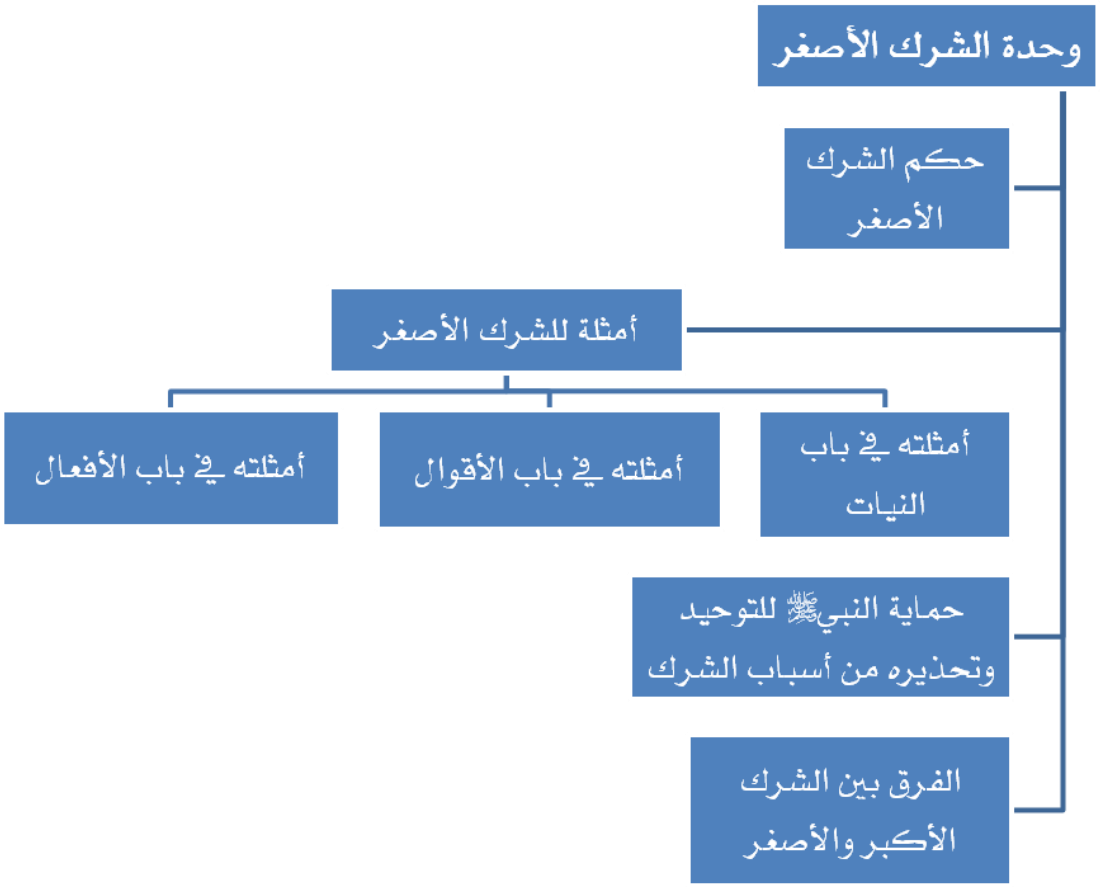

مدخل:

مضى الحديث عن الشرك الأكبر ، وتسميته بالأكبر تدل على أن هناك شركاً آخر يسمى الشرك .....

فما هذا الشرك ؟ وما تعريفه ؟ وما صوره ؟ وما الفرق بينه وبين الشرك الأكبر؟

تعريفه: أقوال وأفعال واعتقادات تنقص من التوحيد، وقد توصل إلى الشرك الأكبر , وسميت شركاً أصغر ؛ لأن فيها شائبة الشرك , ولا تصل إلى مرتبة الشرك الأكبر.

حكمه:

كبيرة من كبائر الذنوب، وهو أعظم من غيره من الذنوب، وينقص التوحيد ولا يبطله؛ لأن فاعله معه أصل الإيمان.

أمثلته:

أمثلة الشرك كثيرة، وتذكر هنا بعض أمثلته مفصلة بحسب ما تتعلق به من القصد والقول والعمل:

أمثلة للشرك الأصغر في باب النيات:

. الرياء وهو الشرك الخفي، أو أن يريد بعمله الدنيا بأن يعمل عملا مما يبتغى به وجه الله يريد به حظاً من الدنيا كثناء الناس أو كسب مال، كمن يتصدق ليقال كريم، أو يقرأ القرآن ليقال حافظ، أو يحسن صلاته ليقال عابد، وهذا يقدح في شرط من شروط قبول العمل ألا وهو الإخلاص، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠ ، وقال النبي ﷺ :« أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر, قالوا: يا رسول الله , وما الشرك الأصغر ؟ قال: الرياء. إن الله يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً»[1]، وفي الحديث القدسي قال الله تبارك وتعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[2].

(1) [أحمد 23635 من حديث محمود بن لبيد ﷺ]

(2) [مسلم 2985 من حديث أبي هريرة ﷺ وهو من أفراده على البخاري]

– وأما أن يعمل العبد العمل لله فيطلع عليه الناس؛ فيثنوا عليه به، فمثل هذا لا يضر المؤمن، فعن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ : (أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه ؟ قال « تلك عاجل بشرى المؤمن »[1].

علاج الرياء:

. تقوية الإيمان بالتفكر في عظمة الله تعالى , وافتقار العبد إلى أن يقبل عمله لينجو يوم القيامة.

. اليقين بأن الناس عباد مثله لا يملكون له ضرا ولا نفعا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣

. العلم بأن الله تعالى إذا سخط على العبد؛ أوشك الناس أن يسخطوا عليه، وإذا أحبه الله تعالى؛ ألقى له القبول في الأرض.

. يكثر من التضرع لله تعالى والدعاء بأن يخلص عمله لله تعالى.

. مراقبة القلب على أن لا يلتفت إلى غير الله تعالى , فيتفرق في شعب الدنيا، فإذا شعر من قلبه تشتتا والتفاتا إلى غير الله تعالى بادر بمجاهدته ورده إلى الله تعالى؛ لئلا يكون ممن قال الله فيهم﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة: ١٠.

أمثلة للشرك الأصغر في باب الأقوال:

. الحلف بغير الله: فعن عبدالله بن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[1].

(1) [مسلم 6721 وهو من أفراده على البخاري]

. قول ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان: لأن العطف بالواو يقتضي التساوي بين الخالق والمخلوق في المشيئة، والله – جل وعلا – يقول: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التكوير: ٢٩ ، وعن ابن عباس ﷺ أن رجلا قال للنبي ﷺ : « ما شاء الله وشئت , فقال النبي ﷺ: أجعلتني لله عدلاً ؟! بل ما شاء الله وحده»[2].

وهذه الأفعال قد تنقل صاحبها إلى الشرك الأكبر إذا كان يعظم المحلوف به كتعظيمه لله تعالى أو أشد، كحال من قد يحلف بالله كاذبا لكنه لا يجرؤ أن يحلف بالميت كاذبا.

أمثلة للشرك الأصغر في باب الأفعال:

. تعليق حذاء قديم أو كف لدفع العين، ويدخل فيه كل شيء يفعله الإنسان لدفع الأذى أو طرد الشياطين أو الحماية من المرض ونحو ذلك مما لم يجعله الله سبباً ولا ثبت بالعلم والتجربة نفعه كالأدوية لعلاج الأمراض.

ومثل هذه الأفعال إن اعتقد أنها أسباب تدفع البلاء بإذن الله فهو شرك أصغر، وأما إن اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه نسب لها تصرفا في ملكوت الله بغير إرادة الله تعالى.

حماية النبي ﷺ للتوحيد، وتحذيره من أسباب الشرك:

وذلك بتحريم الأسباب المفضية إليه , وإن لم تكن في نفسها شركاً، وإنما هي شرك أصغر أو سبب من أسبابه؛ لئلا يقع المسلم في الشرك الأكبر، ومن ذلك:

. النهي عن قول «ما شاء الله وشئت».

. النهي عن الصلاة عند القبور، فضلا عن بناء المساجد عليها.

(1) [الترمذي 1535، واللفظ له، وأبوداود 3251]
(2) [أحمد 1839]

. النهي عن رفع القبور.

. تحريم الصلاة عند طلوع الشمس أو غروبها؛ لأن من يعبدها يسجدون لها عند ذلك.

. النهي عن الغلو في مدح النبي ﷺ والصالحين.

. النهي عن تصوير ذوات الأرواح.

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
صاحبه خالد مخلد في النار.	إن دخل النار فإنه لا يخلد فيها.
يحبط جميع الأعمال.	يبطل العمل الذي خالطه فقط.
مخرج من الملة لأنه ينقض أصل التوحيد.	لا يخرج من الملة، لأنه ينقص التوحيد.
صاحبه حلال الدم والمال.	صاحبه لا يباح الدم والمال.
يوجب البراء الكامل التام.	يوالى على طاعته ويعادى على معصيته.
التوبة منه تكون بالإيمان.	التوبة منه تكون بالتوبة من ذلك الذنب.

نشاط رقم [1]:

تعاون مع زملائك في حصر العبارات التي تحتوي على الشرك , والتي تقع على ألسنة الناس في المجتمع.

العبارات

نشاط رقم [2]:

صنف الأعمال التالية في الجدول حسب نوع الشرك:

العمل	شرك أكبر	شرك أصغر
دعاء الجن والاستعاذة بهم.		
قول الحالف : والنبي.		
دعاء الأنبياء.		
قول ما شاء الله وشئت.		
الذبح للأولياء والصالحين.		
طلب العلم لكي يقال عالم.		
قول لولا الله وفلان.		

التقويم:

س1: ما المراد بالشرك الأصغر؟

س2: لماذا سمي الشرك الصغر بهذا الاسم؟

س3: بين ما يلي :

أ. حكم الشرك الأصغر.

ب. أثر الشرك الأصغر على التوحيد.

س4: ما عاجل بشرى المؤمن ؟

س5: علل: لا يجوز العطف في المشيئة على المخلوق بالواو.

س6: متى يتحول الشرك الأصغر إلى شرك أكبر؟

س7: عدل العبارات الآتية لتكون صحيحة مما يلي:

أ. من آثار الوقوع في الشرك الأصغر زوال التوحيد من القلب.

ب. أخوف ما خافه النبي ﷺ على أمته الشرك الكبر.

ت. من تناول الدواء معتقداً أنه يدفع البلاء بنفسه وقع في الشرك الأصغر.

الوحدة السابعة عشر

الكفر

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن

- يعريف الكفر .
- يعدد أنواع الكفر الأكبر وأدلة كل نوع.
- يوضح صور الكفر الأصفر ويمثل لها.
- يستنبط الفرق بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر .
- يعدد نواقض الإسلام العشرة بأدلتها.
- يصنف نواقض الإسلام إلى قولية وفعلية وقلبية.
- يصنف نواقض الإسلام حسب تعلقها بالشرك أو الكفر أو النفاق.
- يبين ضوابط التكفير.
- يعدد صور الغلو في باب التكفير ويحذر منه.

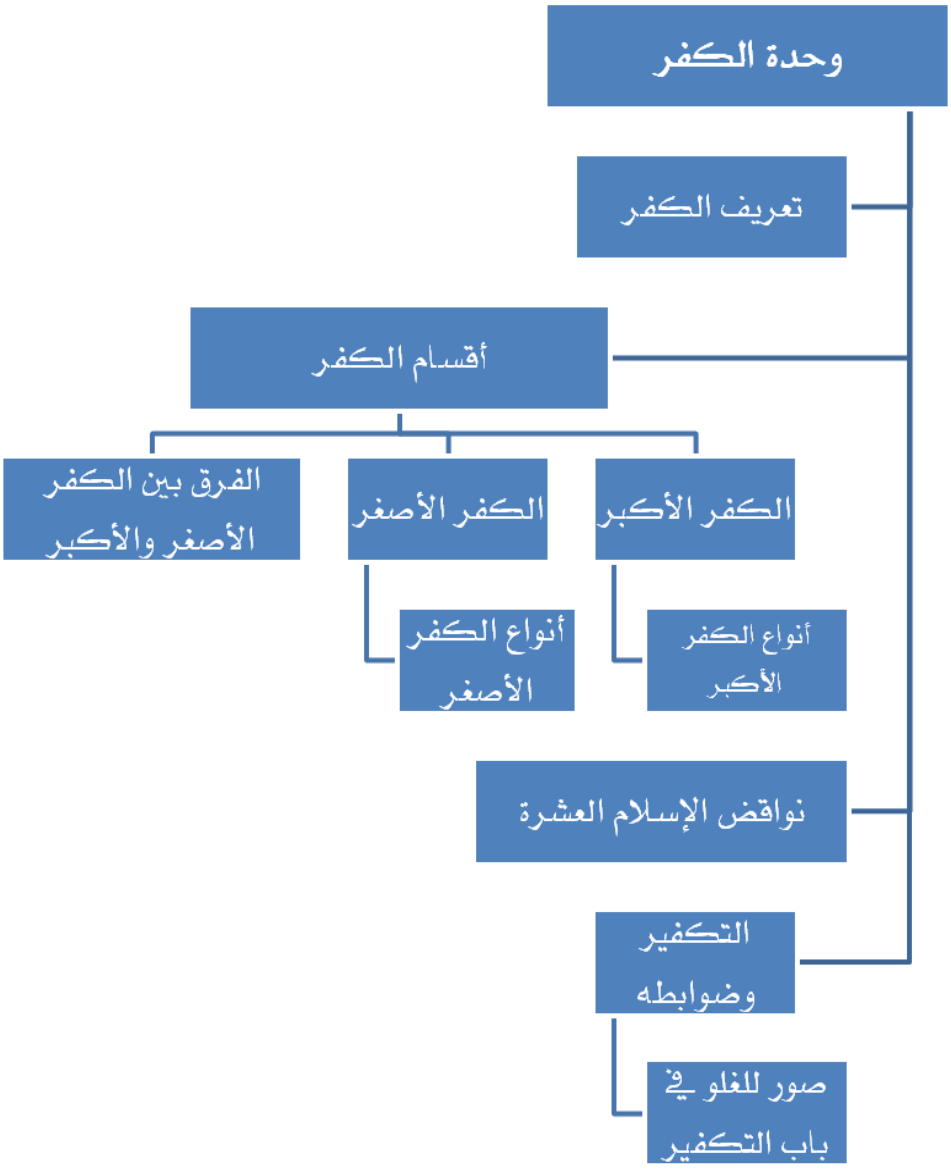

مدخل :

يدخل الإنسان في الإسلام بالنطق بالشهادتين ، والعمل بمقتضاهما ، فإذا ارتكب ما يضاد الشهادتين فإنه يخسر إيمانه ، ويخرج من الإسلام إلى الكفر ، ولخطورة الكفر وجب على المسلم أن يتعرّف على حدوده وضوابطه وأنواعه وصوره حتى لا يقع فيه وهو لا يشعر.

تعريف الكفر لغة واصطلاحاً

تعريف الكفر لغة: التغطية والستر، وسمي الكفر كفراً؛ لأن الكافر يغطي الإيمان والحق بالكفر.

وسيأتي تعريفه اصطلاحاً.

أقسام الكفر:

الكفر قسمان: أكبر وأصغر.

أولاً: الكفر الأكبر:

تعريفه : نقيض الإيمان، وهو عدم الإيمان بالله تعالى ورسوله محمد ﷺ، سواء أكان كفر الكافر أصلياً، أو كان مسلما لكنه أتى بما ينقض إيمانه بالله تعالى ورسوله محمد ﷺ.

وإذا أطلق لفظ (الكفر) انصرف إليه، وهو أنواع ورد ذكرها في النصوص الشرعية.

أنواع الكفر الأكبر:

1. كفر التكذيب والجحود: بأن يجحد نبوة محمد ﷺ، أو يكذب بشيء من القطعيات المعلومة من الدين بالضرورة؛ لأنه بذلك يكون مكذباً لله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٨, ومن ذلك استباحة ما حرمه الله كشرب الخمر والزنا، أو اعتقد أن من اليهود والنصارى من يدخل الجنة بعد بعثة النبي ﷺ.

2. كفر الاستكبار والإباء: وهو أن يصدق بقلبه؛ لكنه يرفض أن ينقاد بجوارحه لأحكام الدين، كحال من عرف الحق من اليهود والمشركين وأصروا على الكفر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٣٤

3. كفر الشك والظن: وهو الشك فيما يجب الإيمان به، ومثاله ما ذكره الله تعالى في قول صاحب الجنة، قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الكهف: ٣٥ - ٣٨ ، ومنه الشك في عذاب القبر، أو يشك في كفر اليهود والنصارى، أو يشك في وجود الملائكة، وغير ذلك مما ثبتت به الأدلة الشرعية.

4. كفر الإعراض: وهو عدم الاهتمام بالإيمان والنظر في الدين، ومثل هؤلاء لا فرق عندهم بين إيمان وكفر، ويقع مثل هذا في الماديين ومَن أكبرُ همهم شهواتُهم الدنيا، قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ الأحقاف: ٣.

ثانياً: الكفر الأصغر:

تعريفه : ذنوب ورد في الشرع وصفها بأنها (كفر) لكنها لا تصل إلى الكفر الأكبر المخرج من الملة.

ووصفها بأنها كفر يدل على فحشها، وأنها من كبائر الذنوب، والدليل على كونها ليست كفراً مخرجا من الملة أن النبي ﷺ جعل قتال المسلم كفراً، وقال الله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ٩ - ١٠ , فوصفهم بالإيمان والإخوة , ولم يجعل اقتتالهم مخرجا من الإسلام.

أنواع الكفر الأصغر وصوره كثيرة منها:

.كفر النعمة: بأن ينسب العبد النعمة لغير الله تعالى، أو لا يؤدي حق الله فيها، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ النحل: ١١٢ ، ومنه جحد نعمة الآخرين عليه كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما قال النبي ﷺ عن النار «ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: بم يا رسول الله ؟ قال: بكفرهن , قيل: يكفرن بالله ؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا قالت: « ما رأيت منك خيراً قط »[1] ، ومن إنكار النعمة انتساب الرجل إلى غير أبيه , وهو يعلمه كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله»[2].

(1) [البخاري 1052 ومسلم 2109]
(2) [البخاري 3508 ومسلم 217]

. الحلف بغير الله تعالى: فعن عبدالله بن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[1]

. قتال المسلم: فعن عبدالله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2] ، وعن جرير بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[3] .

. الطعن في الأنساب والنياحة على الميت: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت »[4].

. الاستسقاء بالأنواء: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ألم تروا إلى ما قال ربكم – عز وجل – ؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين؛ يقولون: الكوكب وبالكوكب»[5] ، وكان المشركون ينسبون نزول المطر إلى هذه النجوم وهذا شرك أكبر، وأما إن قال مطرنا بالنجم، واعتقد أن الله تعالى هو منزل المطر وحده، لكن جرت العادة أن المطر ينزل عند النجم الفلاني؛ فهذا شرك أصغر لأنه ذريعة للشرك الأكبر، كما لا تجوز نسبة المطر إلى النجم ولو تجوزاً. وهذا المعنى هو المراد بالحديث.

وعلى سبيل العموم فكل ما سبق ذكره لا يناقض الإيمان بالله ورسوله ﷺ وإن كانت ينقصه؛ لأنه يخالف ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ.

الفرق بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر:

تمكن معرفة الفرق بينهما بمراجعة الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر

(1) [الترمذي 1535، واللفظ له، وأبوداود 3251]
(2) [البخاري 48، ومسلم 221]
(3) [البخاري 121، ومسلم 223]
(4) [مسلم 227 وهو من أفراده على البخاري]
(5) [مسلم 232، وأخرجه البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ]

مما سبق : لخص هذه الفوارق في الجدول الآتي :

الكفر الأكبر	الكفر الأصغر

نواقض الإسلام:

والنواقض كثيرة، منها ما ينقض توحيد الربوبية، ومنها ما ينقض توحيد الألوهية، ومنها ما ينقض توحيد الأسماء والصفات، ثم هي يمكن أن تكون قلبية أو قولية أو عملية، وفيما بيان لبعضها:

1. الشرك بالله تعالى في العبادة: وهو صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى، ولا ينفع المرء أن يتحايل على الشرك , فيزعم أنه يعبد الله تعالى، ويجعل الأولياء والأموات وسائط بينه وبين الله تعالى، وقد قال تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يونس 18, فجعلت الآية التوجه لمن يزعمونهم شفعاء عبادة.

2. عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم: فكل من حكم الشرع بكفره فيجب اعتقاد كفره، فمن اعتقد أنه مؤمن ؛ فقد رد حكم الشرع واستوى عنده الكفر والإيمان فهو مثلهم، ومن شك في كفر من كفره الله ورسوله , فقال : لا أدرى هل هم كفار أو غير كفار؛ فهو كافر مثلهم؛ لأنه متردد بين الكفر والإيمان ولا يفرق بينهما، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الممتحنة: ٤

3. اعتقاد وجود هدي أحسن من هدي الرسول ﷺ، وهدي النبي ﷺ هو: دينه وطريقته وأخلاقه، وكان النبي ﷺ يقول في خطبه: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ»[1] ، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ ، ومعنى الحكم ما يشمل جميع الإسلام في عقائده وتشريعاته وأخلاقه ومنه القضاء في المنازعات، وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ٦٠ .

ويدخل في هذا الناقض الدفاع عن اليهود والنصارى والدعوة إلى وحدة الأديان، أو اعتقاد أن القوانين الوضعية في باب المعاملات أنسب لهذا الزمان، أو أن تطبيق الحدود لا يناسب زماننا، أو أن العبد مخير بين التحاكم إلى الشريعة أو القوانين والوضعية، أو أن الأولياء غير مكلفين بالشرعية .

4. بغض الدين أو بغض شيء مما جاء به النبي ﷺ وإن عمل به: وهذا من أعمال المنافقين كما قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ محمد: ٩ , فمن كره شيئا مما أنزله الله تعالى . وهذا يشمل القرآن والسنة . فقد حبط عمله؛ لأنه كفر بالله تعالى , وعمله به لا يفيده؛ لأن المنافقين يأتون بأحكام الدين الظاهرة مع كراهيتهم لها، وقال تعالى عنهم: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ التوبة: ٥٤ ، وقال ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ الحج: ٧٢ ، ومن هنا فعلى المسلم أن يفتش قلبه هل فيه كره لشيء من أحكام الدين ؟ فإن بعض الناس يكره أو يود أن الله لم يحرم أشياء يظن أنها تقيد حريته في كسب المال أو التعامل مع الآخرين أو يرى أن الشرع سلب المرأة حريتها، أو أن الأولى تقديم الوطنية على الدين، وغير ذلك مما ينتشر بين طوائف من الناس , وهم لا يشعرون.

5. الاستهزاء بشيء من الدين: قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ التوبة: ٦٥ ، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة: ٧٩ ،

(1) [مسلم 2005 من حديث جابر بن عبدالله ﷺ وهو من زياداته على البخاري]

ومن الناس من لا يستهزئ بشيء من الدين لكنه يتساهل في الجلوس مع من يقع منه ذلك، أو يتساهل في مشاهدة برامج يقع فيها استهزاء بالدين أو سخرية من المؤمنين، أو يتساهل بنقل كلام أمثال هؤلاء على سبيل التندر، ولا يعلم أنه لا فرق بين المتكلم والساكت، ولا فرق بين الجاد والهازل كما قال تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٤٠ .

6. مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين: وفي حديث عبدالله بن عمر ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[1] أي لا يتركه لما يضره، فكيف يكون حال من يعادي المسلمين وينصر الكفار عليهم ؟ قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١ , فظاهر الآية أن من تولاهم فهو مثلهم في الكفر , ويدخل في هذا التولي معاونة الكفار ضد المسلمين مع محبة ما هم عليه من الكفر، ومعاونتهم ضد المسلمين، وأما من أعانهم وهو مكره، أو مختاراً مع كرهه لدينهم فلا يكفر بذلك .

مما سبق : أعد ترتيب نواقض الإسلام بتصنيفها إلى : قولية , وعملية , واعتقادية كما في الجدول:

نواقض قولية	نواقض عملية	نوافض اعتقادية

التكفير وضوابطه:

(1) [البخاري 6956، واللفظ له، ومسلم 6578]

معنى التكفير: الحكم على أحد بأنه كافر خارج عن الإسلام بسبب وقوعه في مكفر من المكفرات.

ولا يجوز الإقدام على التكفير ممن ليس أهلا له؛ لأنه حكم بالخروج من الإسلام والخلود في النار، وفي حديث أبي ذر ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: « لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك »[1] والجرأة على ذلك من فعل الفرق الضالة من الخوارج والرافضة الذين لا يتورعون عن تكفير كل من خالفهم.

ومن الضوابط المهمة في هذا الباب:

. يطلق الكفر على الأفعال التي ورد في الشرع أنها كفر؛ لكن لا يجوز تكفير الفاعل إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع؛ وذلك لتفريق الشرع بين الحكم العام وبين تنزيل الحكم على شخص بعينه، فليس كل من وقع في الكفر وقع عليه اسم الكفر.

. من الموانع التي تمنع التكفير:

- الخطأ بأن يكون الشخص غير متعمد للفعل كمن سبق على لسانه سب الدين، وهو لا يقصده.
- الجهل المعتبر كما قد يقع من المسلم الجديد، أو ممن نشأ في بيئة يكثر فيها الجهل.
- الإكراه كمن أكره على قول كلمة الكفر ليتخلص من القتل.
- الاعتماد على دليل باطل أو تأويل خطأ, كمن اعتقد أن الولي له تصرف في الكون معتمداً على حديث مكذوب على النبي ﷺ، وكالخوارج الذين لم يكفرهم الصحابة – رضي الله عنهم – مع عظم جرمهم من تكفيرهم لعثمان وعلي – رضي الله عنهما – واستحلالهم دماء المسلمين . واستحلال الدم الحرام كفر . ؛ وذلك لما كان عندهم من التأويل الذي حرفوا به معاني النصوص، واشتبه عليهم به الحق بالباطل.

. قد يجتمع في الشخص إيمان وكفر، فيقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله » ويأتي بأركان الإسلام، ومع ذلك يأتي بمكفر من المكفرات كصرف شيء من العبادة لغير الله تعالى، وقد قال تعالى في حق المشركين ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦، فجمعوا بين الإيمان والشرك؛ فلم ينفعهم إيمانهم شيئاً؛ ولهذا خاف الأنبياء وهم أعلم الناس بالله تعالى على أنفسهم

1() [البخاري 6045، واللفظ له، ومسلم 217]

وأولادهم, فقال يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١، وقال إبراهيم عند وفاته لبنيه : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة: ١٣٣ ، وقال تَعَالَى: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥.

صور للغلو في باب التكفير :

. التسرع في تكفير المسلمين بمجرد وقوع أحدهم في فعل من أفعال الكفر دون التثبت والتحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

. عدم التفريق بين الكفر الأكبر والأصغر والتسوية بينهما في الحكم، وهذا منهج الخوارج , فإنهم يكفرون مرتكب الذنوب الكبيرة، وكل من وقع في معصية ورد تسميتها كفرا في الشرع , فهو عندهم كافر خارج من الملة.

. تكفير المجتمعات، وتنزيل أحكام المرتد عليهم من استحلال الدماء, والأموال, والنساء.

. عدم عذر الفاعل بالجهل.

نشاط رقم [1]:

صنف الأمثلة التالية نوع الكفر:

م	المثال	نوع الكفر
1	رجل عرف أن الإسلام هو الدين الحق ثم رفض الدخول فيه.	
2	رجل لا يبالي أن يقع في الكفر إذا كان ذلك يتعارض مع شهوته الدنيوية.	
3	استباحة قتل المعصوم.	
4	رجل يحلف بحياته.	
5	شخص يزعم أن البعث بعد الموت خرافة.	

6	شخص يشرب الخمر ويقول بحل ذلك.	

نشاط رقم [2]:

تفننت أساليب أهل الباطل في الاستهزاء بالدين وأهله, بين خطورة ما يلي:

أ. السخرية من أهل الدين بنية المزاح.

ب. مجالسة الذين يسخرون بالدين وأهله.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

نشاط رقم [3]:

احصر نواقض الإسلام المنتشرة في بلدك , وما الحلول المناسبة في علاجها؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

التقويم:

س1: ما مدلول كلمة الكفر في اللغة وما سبب التسمية بذلك؟

س2: أكمل ما يلي:

أ. إذا أطلق لفظ (الكفر) انصرف إلى.....

ب. يقع الكفر من المسلم إذا أتى بما .....

س3:علل: يطلق على بعض الذنوب الكبيرة لفظ : (الكفر الأصغر).

س4: علام يدل تسمية الذنوب الكبيرة بالكفر الأصغر.

س5: ما حكم الحلف بغير الله إذا اعتقد الحالف تعظيم المحلوف به؟

س6: ما جزاء من مات على الشرك, وما الدليل ؟

س7: بين موقف نبي الله ابراهيم عليه السلام من أبيه وقومه عندما رفضوا عبادة الله وحده.

س8: لماذا يعد الساحر كافراً, وما الدليل على كفره؟

س9: ماذا يترتب على تكفير المعين من أحكام؟

س10: هل يتوقع من شخص يأتي بأركان الإسلام أن يقع في الشرك ؟ وضح ذلك مع الأدلة.

الوحدة الثامنة عشرة

النفاق

أهداف الوحدة : يتوقع من المتعلم بعد دراسته لهذه الوحدة أن:

- يبين تعريف النفاق .
- يعدد أنواع النفاق.
- يوضح صور النفاق الأكبر وأمثلته.
- يعدد خصال النفاق العملي (الأصغر)
- يستنبط الفرق بين النفاق الأصغر والنفاق الأكبر
- يعدد صفات المنافقين ويحذر منها.

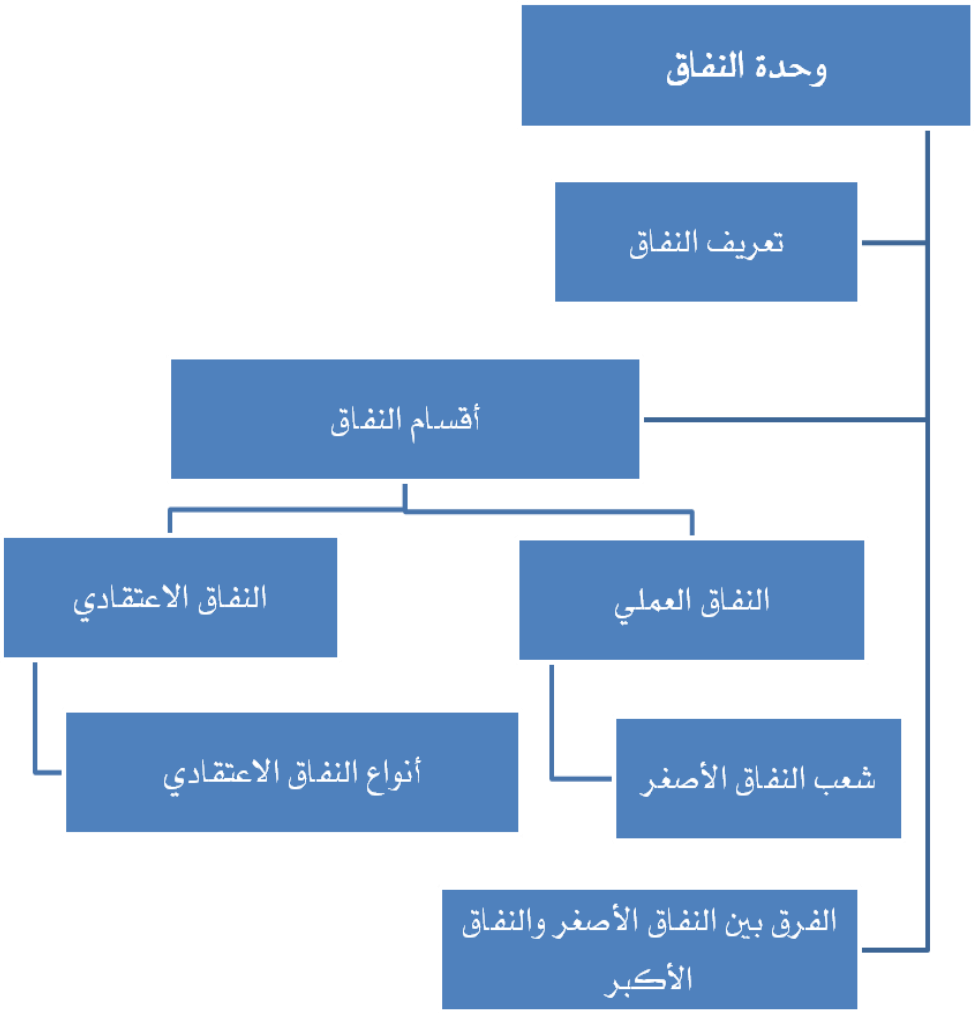

مدخل

بعد أن انتصر المسلمين في معركة بدر وظهرت لهم قوة ، بدأت ظاهرة جديدة تطل برأسها, وهي دخول بعض مشركي المدينة في الإسلام ؛ خوفاً من المسلمين وبغية في الطعن في الإسلام والتفريق بين المسلمين ، فإسلام هؤلاء لم يكن حقيقياً, وإنما إسلام في الظاهر, وأما في قرارة أنفسهم

فهم كفار ، قال الله عنهم: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ البقرة: ١٤

سمى الشرع هؤلاء بالمنافقين ، وسمى هذه الظاهرة بالنفاق ، فما النفاق ؟ وما أنواعه ؟ وما خطورته ؟ وما صفات أهله ؟

تعريف النفاق:

النفاق لغة: مأخوذ من النافقاء، وهو أن دابة يقال لها اليربوع تحفر بيتها تحت الأرض، ولها مخرجان أحدهما ظاهر والآخر خفي يقال له النافقاء، فإذا طلبت من الظاهر هربت من الخفي. فسمي المنافق منافقا تشبيها له بهذا المخرج الخفي؛ لأنه يظهر شيئاً ويخفي خلافه.

أقسام النفاق

النفاق نوعان هما:

النفاق الأكبر: ويسمى النفاق الاعتقادي: وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر, وهذا النفاق كفر، وفاعله أسوأ حالا من المجاهر بكفره ؛ لأنه مخادع، قال تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ النساء: ١٤٥ ، وقد ذكر الله تعالى أهله , وذكر صفاتهم في أول سورة البقرة، واستقصى مخازيهم في سورة التوبة ؛ ولذا سميت هذه السورة بالفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، ومن مخازيهم وأفعالهم الكفرية: إبطان الكفر ، والاستهزاء بالدين وأهله، والتعاون مع الكفار في السر ضد المؤمنين، وسوء الظن بالله تعالى، وكراهيتهم للجهاد في سبيل الله، وصد الناس عن الدين والتحاكم إلى شريعة الإسلام، والفرح بغلبة الكفار على المسلمين.

وفيما يلي بيان لصفتين من هذه الصفات انتشرتا في هذا الزمان ؛ ليحذر المسلم من أن يقع في الكفر وهو لا يشعر.

- **الاستهزاء بالدين :**

وذلك أن أعظم ما يحافظ عليه المسلم دينه، لأنه أعظم من كل ما عداه من النفس والمال، والاستهزاء بشيء من الدين استهزاء بما حقه التعظيم والتوقير، وهذه الصفة ذكرها تعالى من صفات المنافقين في قوله تعالى:﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٤ - ٦٦ وقصة ذلك كما رواه زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف ابن مالك ﷺ في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، وأكذب ألسنة، وأجبننا عند اللقاء؟ فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه , قال زيد: قال عبد الله بن عمر ﷺ: فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له النبي ﷺ: (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون) ما يزيده.[1] فدلت الآية على أن من استهزأ بشيء من الدين أو من المؤمنين أو مظهر من مظاهر الدين كلباس الإحرام , أو الطواف بالبيت , أو اللحية , أو الحجاب أو ترك المحرمات من شرب الخمر, أو غض البصر، أو ازدراء العلم الديني وأهله وطلابه، أو انتقد الحدود الشرعية، فقد كفر , ولو لزعم أنه هازل ويلعب ولم يقصد حقيقة السخرية من الدين, أو أنه يعتقد الكفر؛ لأنه لو كان إيمانه صحيحا ما انشرح صدره لمثل هذا الكلام , فإن الأعمال الظاهرة تدل على ما في القلب من الإيمان أو النفاق.

- سوء الظن بالله – سبحانه وتعالى –:

وإذا كان الله تعالى أوجب على المؤمنين حسن الظن به؛ فإن المنافقين يقول الله عنهم: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ الفتح: ٦ فوصفهم

(1) [تفسير الطبري للآية]

بصفة سوء الظن بالله، وسوء ظنهم الذي ظنوه هو أن الله لا ينصر رسوله ﷺ , وأن الإسلام سينتهي، وأن ما أصاب المسلمين لم يكن من تقدير الله , وكثير من الناس يقع في شيء من سوء الظن بالله تعالى لجهلهم بالله تعالى , وحكمته في خلقه وتدبيره لخلقه , وابتلائهم بالسراء والضراء، ومن ذلك ظنهم أنه لن تقوم للإسلام قائمة وهم يرون أنواع القوة بيد عدوهم، وتقدمهم على المسلمين في غالب المجالات، أو أن المسلمين مكتوب عليهم التأخر والضعف، وأن سبب التأخر التمسك الكامل بالشريعة، وأن سبب التقدم الانفتاح الكامل، ومسايرة الكفار في أخلاقهم وسلوكهم، أو يكون سوء ظنه في خاصة نفسه كمن يبتلى بالمرض , أو الفقر ويرى غيره من العصاة قد يسر الله أمرهم ووسع رزقهم , فيسوء ظنه بالله تعالى , وبدينه فيكون حاله كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ الفجر: ١٥ - ١٧ ، ويكون كما قال اليهود لموسى عليه السلام: ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٢٩ , وكما قال قوم فرعون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ١٣١ ، وكل من وجد في قلبه اعتراضا على قدر الله تعالى فيما قدره, وأن لو كان كذا وكذا؛ فإنه يكون قد وقع في شيء من سوء الظن بالله تعالى واعتراضا على حكمته في قضائه , ومن عرف الله تعالى أيقن أن كل ما يقدره الله تعالى فهو خير، وأنه يقتضي عبودية منه إما صبرا أو شكراً، أو إنفاقا، أو استغفاراً، بحسب ذلك، وفي كل ذلك على العبد أن يتذكر قول الله تعالى في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني »[1] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

(1) البخاري 7405، واللفظ له، ومسلم 6952 من حديث أبي هريرة ﷺ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦

النفاق الأصغر، ويسمى النفاق العملي: وهو إظهار شيء على خلاف ما يضمره فيما لا يرجع إلى أصل الإيمان.

وهذا النفاق مع أنه من كبائر الذنوب إلا أنه لا يخرج من الملة.

- **شعب النفاق الأصغر** :

ومن شعبه ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[1] ، وفي حديث أبي هريرة ﷺ «وإذا ائتمن خان»[2].

وذكر الله تعالى من صفاتهم ما ذكره في قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: ١٤٢ ، وشدة خوفهم وجبنهم , قال تعالى : (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون)[براءة 56-57]، والسفه وخفة العقل، والطمع في الدنيا وإيثارها على الدار الآخرة، واستحواذ الشيطان عليهم، والتذبذب في المواقف، وحدة اللسان ضد المؤمنين.

الفرق بين النفاق الأصغر والنفاق الأكبر

النفاق الأكبر	النفاق الأصغر
صاحبه في الدرك الأسفل من النار.	إذا دخل النار فإنه لا يخلد فيها.
يحبط جميع الأعمال.	يبطل العمل الذي خالطه فقط.

1() البخاري 34 ومسلم 210، واللفظ له

(2) [البخاري 33 ومسلم 212]

مخرج من الملة , لأن حقيقته إبطان الكفر.	صاحبه مسلم مرتكب لكبيرة من الكبائر.
صاحبه حلال الدم والمال.	صاحبه لا يباح الدم والمال.
يوجب البراء الكامل التام.	يوالى على طاعته ويعادى على معصيته
لا يكفره إلا الإيمان.	حكمه حكم كبائر الذنوب تكفر بالتوبة، أو بالتطهير في النار، أو يتجاوز عنه أرحم الراحمين.
يكون بالقلب.	يكون بالقلب والقول والفعل.

نشاط رقم [1]:

وصف الله المنافقين في سورة المنافقين بصفات عدة, بالرجوع إلى السورة دون هذه الصفات.

.....

.....

.....

.....

نشاط رقم [2]:

قارن بين موقف المؤمنين وموقف المنافقين في غزوة الأحزاب, مبينا الصفة التي جعلت هذا التفاوت بينهما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾

الأحزاب: ١٢

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٢

موقف المؤمنين	موقف المنافقين

سبب التفاوت في المواقف :

.....

.....

التقويم:

س1: بين ما يلي:

نوع النفاق	مسماه	تعريفه
النفاق الأكبر		
النفاق الأصغر		

س2: بين حكم النفاق الأكبر.

س3: علل:

أ. يعد صاحب النفاق الأكبر أسوأ حالاً من المجاهر بكفره .

ب. تسمى سورة التوبة بالفاضحة.

س4:اكتب أبرز الأعمال الكفرية التي يضمرها المنافق ويفرح بها.

س5: ما حكم الاستهزاء بشيء من دين الله, مع الدليل؟

س6: هل هناك فرق بين من يستهزِئ بشيء من الدين سواءً أكان جاداً أم مازحاً.

الفهرس

تمهيد.....3

الوحدة الحادية عشر: الإيمان باليوم الآخر 5

أهداف الوحدة 6

معنى الإيمان باليوم الآخر 7

أشراط الساعة 7

الحياة البرزخية 11

من أحوال اليوم الآخر 12

آثار الإيمان باليوم الآخر 25

الوحدة الثانية عشر : الإيمان بالقدر 28

أهداف الوحدة 29

معنى الإيمان بالقدر

.....30

مراتب القدر 30

قواعد في الإيمان بالقدر 33

من القوادح في الإيمان بالقدر 35

ثمرات الإيمان بالقدر 36

الوحدة الثالثة عشر :السنة والبدعة 40

أهداف الوحدة 41

وجوب التمسك بالسنة 42

فضائل أهل السنة والجماعة 43

الخصائص الأخلاقية لأهل السنة
.....44

معنى البدعة 47

أسباب ظهور البدع 49

منهج السلف الصالح في التعامل مع البدع والمبتدعين.....50

الآثار السيئة للبدع 51

الوحدة الرابعة عشر تعلق القلب بغير الله 55

أهداف الوحدة 56

من أنواع التعلق بغير الله 57

التبرك بالأشجار والأحجار والأنصاب 57

تقديم القرابين والنذور لغير الله 58

التعلق بالصالحين 59

التعلق بالسحرة والمشعوذين والعرافين والمنجمين 61

التوكل على غير الله تعالى والتعلق بالأسباب 68

أسباب التعلق بغير الله 71

الوحدة الخامسة عشر الشرك الأكبر 76

أهداف الوحدة 77

معنى الشرك 78

أنواع الشرك..... 78

أمثلة للشرك الأكبر 78

أسباب ووسائل الوقوع في الشرك 80

خطر الشرك وآثاره على الفرد والمجتمع 81

سبل الوقاية من الشرك 82

الوحدة السادسة عشر : الشرك الاصغر 86

أهداف الوحدة 87

تعريف الشرك الأصغر 88

أمثلة للشرك الأصغر 88

حماية النبي للتوحيد وتحذيره من الشرك 90

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر 91

الوحدة السابعة عشر :الكفر..... 94

أهداف الوحدة 95

تعريف الكفر 96

أقسام الكفر

..... 96

الكفر الأكبر..... 96

الكفر الأصغر 97

الفرق بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر 99

نواقض الإسلام 99

التكفير وضوابطه 102

الوحدة الثامنة عشر: النفاق 107

أهداف الوحدة 108

تعريف النفاق 109

أنواع النفاق 109

النفاق الأكبر 109

النفاق الأصغر..... 112

الفرق بين النفاق الأصغر والنفاق الأكبر 113